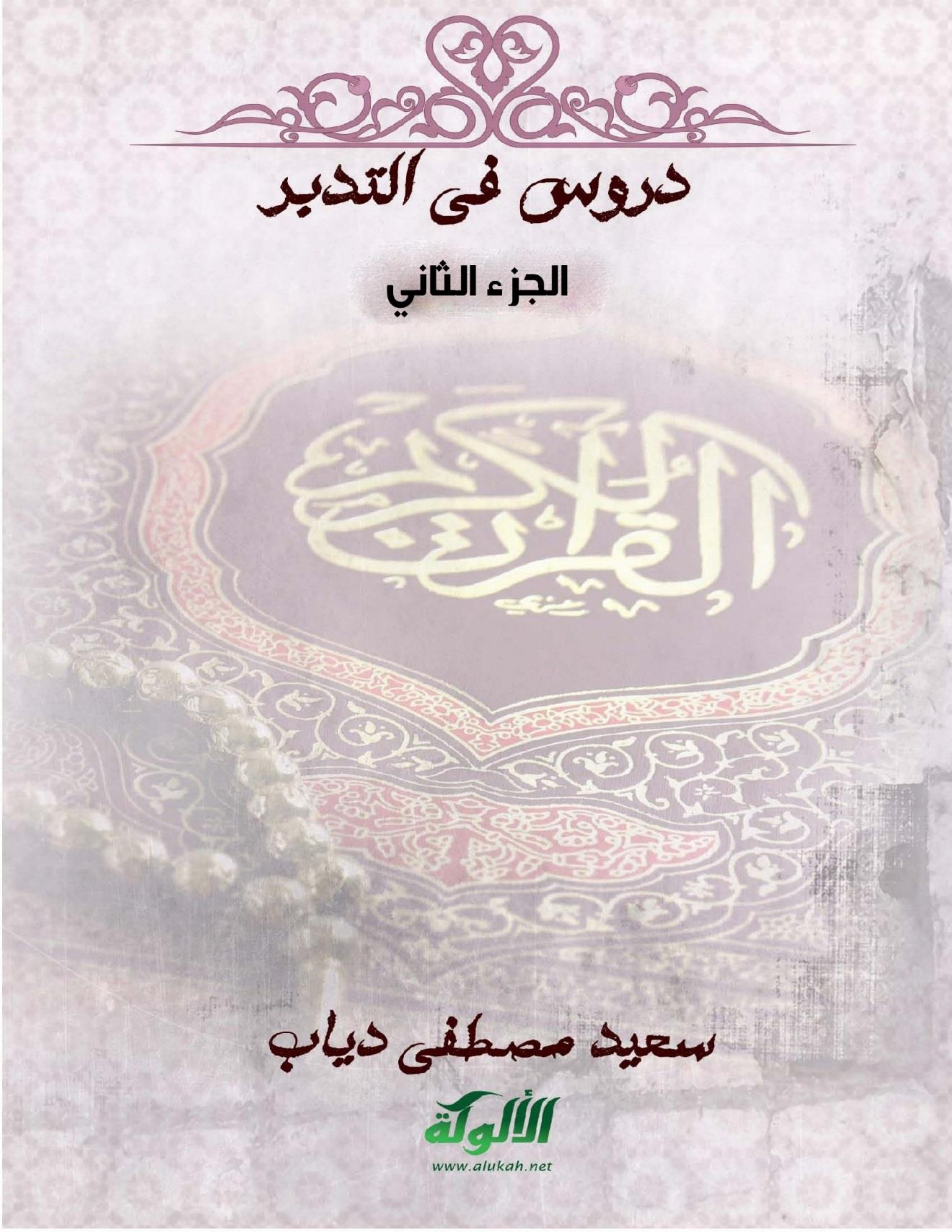


دروس في التدبر
الجزء الثاني
القرآن الكريم
سعيد مصطفى دياب
الألوكة
www.alukah.net



دروس في التدبر

"الجزء الثاني"

سعيد مصطفى دياب



مُقَدِّمَة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِي لَهُ.

وأَشْهَدُ أنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.[1]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.[2]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.[3]

وبعد فإن أولى ما بذلت فيه الأوقات، وأنفقت فيه الأعمار، مدارسة كتابِ الله تبارك تعالى، وتدبر كلامه، ولم لا؟ وتدبر القرآن هو الغاية التي من أجلها أنزل الله تعالى كتابه، قَالَ تَعَالَى: {كِتَابٌ أَنزلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الألْبَابِ}.[4]

فَعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».[5]

---

١ – سورة آل عمران: الآية/ ١٠٢

٢ – سورة النساء: الآية/ ١

٣ – سورة الأحزاب: الآية/ ٧٠،٧١

٤ – سورة ص: الآية/ ٢٩

٥ – رواه البخاري– كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابٌ: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، حديث رقم: ٥٠٢٧

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: فَذَلِكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا، وَكَانَ يُعَلِّمُ الْقُرْآنَ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً.[١]

ونَدَب اللَّهُ تَعَالَى عبادهَ إِلَى تَفَهُّمِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا}.[٢]

لذلك كان من فرط في تدبر كتاب الله تعالى مغبونًا أشدَ الغبنِ، ومذمومًا أَقبحَ الذمِ.

وقد كان الأئمة الأعلام، الذين أفنوا أعمارهم في خدمةِ دين الله تعالى، والذبِ عن حياضه، وتعليم الأمة أحكام دينها، من الكتاب والسنة، كان الواحد منهم يُظهر الندمَ في آخر عمرهِ على ألا يكون قد صرف كلَ عمرهِ في تدبرِ كلام اللهِ تعالى، واستخراج كنوزه، واستنباط معانيه.

قَالَ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (قد فتح الله عَليّ فِي هَذِه الْمرة من مَعَاني الْقُرْآن وَمن أصُول الْعلم بأَشْيَاء كَانَ كثير من الْعلمَاء يتمنوها وندمت على تَضْيِيع أَكثر أوقاتي فِي غير مَعَاني الْقُرْآن).[٣]

فكيف بمن تَصَرَّمَ عمرُهُ، وانقضى أجَلُهُ ولم يَضْرِبْ في علومِ الدينِ بسهمٍ، ولم يخدمْ الإسلام بشيءٍ، ولا تفيء ظلال القرآن الوارفة، ولا تلذذ بثماره اليانعة.

ولا شك أن تركَ التدبرِ نوعٌ من أنواعِ هجرِ الْقُرْآن، فقد ذم الله تعالى المعرضين عن تدبره فقَالَ تَعَالَى: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}.[٤]

---

١ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٥/ ٢٥٢)

٢ - سورة النِّسَاءِ: الآية/ ٨٢

٣ - العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ص: ٤٤)

٤ - سورة مُحَمَّدٍ: الآية/ ٢٤



والمخذول من صرفه الله تعالى عن كتابه؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ}.[1]

أي: يُصْرَفُ عَنْ هَذَا الْقُرْآنِ مَنْ صُرِفَ، وَيُدْفَعُ عَنْهُ مَنْ يُدْفَعُ، فَيُحْرَمُ تلاوته، وَيُحْرَمُ تدبره، وَيُحْرَمُ التَّلَذُّذَ بسَمَاعِهِ، وَيُحْرَمُ العَمَلَ بِهِ، نعوذ بالله من الخذلان.

قال ابن القيم رحمه الله: هجر الْقُرْآن أَنْوَاع:

أَحدهَا: هجر سَمَاعه وَالْإِيمَان بِهِ والإصغاء إِلَيْهِ.

وَالثَّانِي: هجر الْعَمَل بِهِ وَالْوُقُوف عِنْد حَلَاله وَحَرَامه وَإِن قَرَأَهُ وآمن بِهِ.

وَالثَّالِث: هجر تحكيمه والتحاكم إِلَيْهِ فِي أصُول الدّين وفروعه واعتقاد أَنه لَا يُفِيد الْيَقِين وَأَن أدلته لفظية لَا تحصّل الْعلم.

وَالرَّابِع: هجر تدبّره وتفهّمه وَمَعْرِفَة مَا أَرَادَ الْمُتَكَلّم بِهِ مِنْهُ.

وَالْخَامِس: هجر الِاسْتِشْفَاء والتداوي بِهِ فِي جَمِيع أمراض الْقلب وأدوائها فيطلب شِفَاء دائه من غَيره ويهجر التَّدَاوِي بِهِ وكل هَذَا دَاخل فِي قَوْله: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً}.[2]

بل إن الأمر أخطر من ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (مَنْ هَجَرَ الْقُرْآنَ فَهُوَ مِنْ أَعْدَاءِ الرَّسُولِ).[3]

وبيان ذلك أن اللَّهُ تَعَالَى قالَ: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا}، ثم قال بعدها: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا}.

فلا يهجر القرآنَ إلا من كان عدوًا للرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فالعداوة في الآية الثانية تعليل للهجر في الآية الأولى.

---

١ - سورة الذَّارِيَاتِ: الآية/ ٩

٢ - سورة الْفُرْقَانِ: الآية/ ٣٠، الفوائد لابن القيم (ص: ٨٢)

٣ - مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٦)

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا}.[1]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ رَسُولِهِ وَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ – صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدين – أنه قال: {يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا لَا يُصغُون لِلْقُرْآنِ وَلَا يَسْمَعُونَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ}.[2]

وَكَانُوا إِذَا تُلِيَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ أَكْثَرُوا اللَّغَطَ وَالْكَلَامَ فِي غَيْرِهِ، حَتَّى لَا يَسْمَعُوهُ. فَهَذَا مِنْ هُجْرَانِهِ، وَتَرْكُ عِلْمِهِ وَحِفْظِهِ أَيْضًا مِنْ هُجْرَانِهِ، وَتَرْكُ الْإِيمَانِ بِهِ وَتَصْدِيقِهِ مِنْ هُجْرَانِهِ، وَتَرْكُ تَدَبُّرِهِ وَتَفَهُّمِهِ مِنْ هُجْرَانِهِ، وَتَرْكُ الْعَمَلِ بِهِ وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ زَوَاجِرِهِ مِنْ هُجْرَانِهِ، والعدولُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ – مَنْ شِعْرٍ أَوْ قَوْلٍ أَوْ غِنَاءٍ أَوْ لَهْوٍ أَوْ كَلَامٍ أَوْ طَرِيقَةٍ مَأْخُوذَةٍ مِنْ غَيْرِهِ – مِنْ هُجْرَانِهِ.[3]

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: ومن أعظم ما يُتقرَّب به العبد إلى الله تعالى مِنَ النَّوافل: كثرة تلاوة القرآن، وسماعهُ بتفكُّر وتدبُّرٍ وتفهُّمٍ.

وَقَالَ خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرَجُلٍ: «تَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّكَ لَنْ تَقْتَرِبَ إِلَى اللَّهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ».[4]

وفي الترمذي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ مَرْفُوعًا: «مَا تَقَرَّبَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ، يَعْنِي الْقُرْآنَ».[5]

لا شيءَ عند المحبين أحلى من كلام محبوبهم، فهو لذَّةُ قلوبهم، وغايةُ مطلوبهم.[1]

---

١ – سورة الْفُرْقَانِ: الآية/ ٣٠

٢ – سورة فُصِّلَتْ: الآية/ ٢٦

٣ – تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٨)

٤ – رواه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد (ص: ٤١)، والدارمي في الرد على الجهمية (ص: ١٧٣)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٥/ ٢٤٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٥٨٧)

٥ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٩١١، وضعفه الألباني



وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُكُمْ مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللهِ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمٌ وَلَا لَيْلَةٌ إِلَّا أَنْظُرُ فِي كَلَامِ اللهِ يَعْنِي فِي الْمُصْحَفِ».[٢]

والحمد لله أولًا، وآخرًا، وظاهرًا، وباطنًا، كما يحب ربنا ويرضى.

كَتَبَهُ أَبُو عَمْرٍو سَعِيدُ بْنُ مُصْطَفَى دِيَابِ

الدوحة في ٧ جمادى الآخرة / ١٤٣٧هـ

١٦/ مارس/ ٢٠١٦ م

---

١ - جامع العلوم والحكم (٣/ ١٠٨١)

٢ - رواه أحمد في الزهد- رقم: ٦٨١، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٣٠٠)

تَدَبَّرْ – ١٠١

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}.[١]

العجبُ كل العجبِ أن تخشى الحجارةُ وهي غيرُ مكلفةٍ، ولا يتأتى منها ذنبٌ، ولا يُتَصَوَرُ منها مَعْصِيةٌ، ولا يخشى ابنُ آدمَ، وقد زَكمت رائحةُ ذنوبِهِ الأُنُوفَ، وظَهَرَ فَسَادُهُ في البرِ والبحرِ.

العجبُ أن يخشعَ الجبلُ الشامخُ، والطودُ الأشمُ، ولا يخشعُ ابنُ آدمَ، على ضعفِهِ، وَصِغَرِ حَجْمِهِ.

{لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}.[٢]

وبعض الناس لا يحركُ فيه القرآنُ سَاكِنًا، ولا يُسَكِّنُ فيه مُتَحَرِكًا.

اللهم امْلَأْ قلوبنا منك خشيةً، وامْلَأْ نفوسنا منك هيبةً.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٧٤

٢ – سورة الْحَشْرِ: الآية/ ٢١

تَدَبَرْ – ١٠٢

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}.[١]

ياله من تَهْدِيدٍ شَدِيدٍ، وَوَعِيدٍ مُرْعِبٍ يذيبُ الصخرَ.

ويدكُ الجبالَ.

لو صادف قلوبًا حيةً، وآذانًا واعيةً.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٧٤



تَدَبَرْ – ١٠٣

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}.[1]

من لم تؤثرْ فيه قَوَارِعُ القرآنِ.

ولَمْ تَقْضْ مَضَاجِعَهُ زَواجِرُهُ.

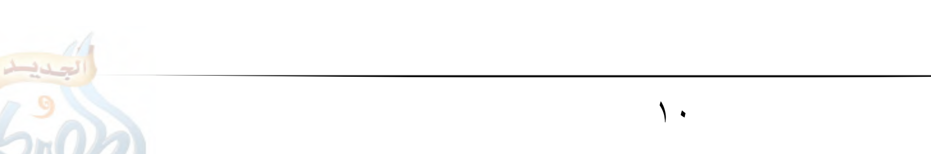
مَنْ لَمْ يَبْكِ لِمَوَاعِظِهِ.

فلن يؤثرَ فيه وعظُ واعظٍ، ولا تذكيرُ داعٍ.

فليتفقد قلبَه.

فلعله أَنْ يكونَ قَدْ مَاتَ أو كَادَ.

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ٧٥




تَدَبَرْ – ١٠٤

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ}.[1]

تأمل كيف خافوا أن يُبَلِّغَ المؤمنُون كلامَهُم للهِ تعالى، فيحَاسِبَهم عليه.

لتعلم تصورهم عن الله تعالى، واعتقادهم في صفاته، وأنه عياذًا بالله لا يعلم سرهم ولا يسمع سرهم ونجواهم.

فأي إيمان يزعمون؟ وأي دين يدعون؟

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٧٦

تَدَبَرْ – ١٠٥

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ}.[١]

يكفي لفساد الرأي، وانطماس نور البصيرة، وذهاب العقل، أن يظن إنسانٌ أن الله يعلم العلن، ولا يعلم السر، يسمع الجهر، ولا يسمع الإخفات.

وهذا الاعتقاد يكشف تصور اليهود عن الله تعالى، وأنه كالبشر، وصفاته كصفاتهم، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

وهو اعتقاد مشركي قريش في الله تعالى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "اجْتَمَعَ عِنْدَ البَيْتِ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ – أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ – كَثِيرَةٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ، قَلِيلَةٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتُرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ قَالَ الآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلاَ يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا، وَقَالَ الآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ}.[٢]

وهو اعتقاد قوم نوح، وتصور كل مشرك عن الله تعالى، {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا}.[٣]

وأنت ما هو اعتقادك في الله تعالى، وما هو تصورك عن الله تعالى؟

هل إذا خلوت بمحارم الله انتهكتها؟

هل تعلم أن الله يعلم سركَ وعلانيتَك؟

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٧٧

٢ – سورة فصلت: الآية/ ٢٢

٣ – سورة نوح: الآية/ ١٣

تَدَبَرْ – ١٠٦

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ}.[١]

تأملْ قَوْلَهُ تَعَالَى: {يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}، لتعلم كيف بلغ بهم الأمر في افترائهم على الله تعالى، وعلى دينه.

ثم تأملْ قَوْلَهُ تَعَالَى: {لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا}، لتعلم أنه لا يفتري على الله تعالى، وعلى دين الله تعالى إلا مأجورٌ، أو موتورٌ.

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٧٩



تَدَبَر- ١٠٧

قَالَ تَعَالَى: {بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.[١]

بعض الناس همه في الدنيا السعي وراء الشهوات وتحصيل اللذات، ينفق في سبيلها الأموال، ويبذل فيها جهده، ويبلي فيها شبابه، ويفني لأجلها عمره، وهو يعلم أنها سيئة، ويوقن أنها معصية، ويحكم أنها قبيحة، وربما لا ينالها إلا بالتفريط في دينه، والتخلي عن ثوابته، ومع ذلك يرى أن تحصيلها ربحًا، وأن قدرته على إتيانها فوزًا، وأنها بالنسبة إليه مكسبًا، ولا يمضي من الزمنِ إلا اليسيرُ حتى تحيطَ به المعصيةُ من كلِ جانبٍ، يراها بناظريه، ويستمع إليها بأذنيه، ويُصْغِي إليها بقلبه، ويتخيلها بفكره، وتُشْرِبُهَا نفسه، وعند ذلك يكون قد خَسِرَ أعظمَ شيءٍ قد حَبَاهُ اللهُ بِهِ.

خسر الفطرة التي فطره الله عليها، لأنه انتكست فطرته، خسر قلبه الذي ولد به نقيًا بريئًا.

خسر الإيمان الذي هو أعظم المنح الإلهية، لذلك كانت النار أولى به، {فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

فيارب طهر قلوبنا من دنس المعاصي، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا.

---

١ - سُورَةُ البقرة: الآية/ ٨١



تَدَبَر- ١٠٨

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.[١]

من عظيم فضل الله تعالى علينا، ومن سعة رحمته بنا، ومن إحسانه الذي لا منتهى له، أنه ارتضى من عباده بالقليل من العمل وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، وأنه تعالى يُعبد، فيشكر ويُعصى فيغفر، وأنه لا يعاجل بالعقوبة، ولا يضيع أجرَ من أحسن عملًا، ومن ذلك أن من آمن به سبحانه، وتقرب إليه بصنوف الطاعات على هدي رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان جزاؤه جنة عرضها السموات والأرض، يرثها ميراثا ويتملكها تملكًا، {وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.[٢]

بعقد هو أشرف العقود، {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ}.[٣]

يلازم هذه الجنة وتلازمه ملازمةَ الظلِ لصاحبه، لا ترضى به الجنة بدلًا، ولا يبتغي هو عنها تحولا، لَا يَخْتَارُ غَيْرَهَا، وَلَا يُحِبُّ سِوَاهَا، {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلا}.[٤]

قد أمن فيها من الأكدار والمنغصات، فليس فيها للهم مكان، ولا الخوف يدخلها ولا الأحزان، وأعظم من ذلك أنها لا يموت أهلها بل {هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

فيارب نسألك بإِيمَانِنَا بك، واتْبَاعِنَا لنبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن تجعلنا من أهل الجنة، وأن تكتب لنا رضوانك، وأن تجنبنا أسباب سخطك.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٨٢

٢ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٤٣

٣ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآية/ ١١١

٤ - سُورَةُ الْكَهْفِ: الآية/ ١٠٨

تَدَبّر – ١٠٩

قَالَ اللَّه تَعَالَى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ}.[١]

في التعبير بقول الله تعالى: {دِمَاءَكُمْ} ، وَ{أَنْفُسَكُمْ} ، – وإن كان المراد بذلك لا يسفك بعضكم دماء بعض، ولا يخرج بعضكم بعضًا – دلالة على أن ظلمك لأخيك هو ظلمٌ لنفسك، وإساءتك له إساءةٌ لنفسك، لأن الْمُؤْمِنِينَ كالجَسَدِ الواحدِ يتألمُ كل عُضْوٍ لألم غيرِهِ من الأَعْضَاءِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».[٢]

فاستشعر أن الظلمَ الواقعَ على مسلمٍ في أقصى الأرضِ هو ظلمٌ لك أنت، وأن دماءَ المسلمين التي تسيلُ في مشارقِ الأرضِ ومغاربها تنزف من عروقك أنت.

فهل يليق بك أن تظلمه وأنت تسمعُ نبضَهُ من قلبك، وتجري دماؤُهُ في عروقك؟

وهل يليق بك أن تهدمَهُ وأنت وهو بنيانٌ واحدٌ؟

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا».[٣]

وهل يليق بك أن تبغضه وحبك له قربة تتقرب بها إلى ربك؟

اللهم إنا نسألك حبك، وحب من يحبك ، وحب عمل يقربنا لحبك.

---

١ – سورة البقرة: الآية/ ٨٤

٢ – رواه مسلم– كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، حديث رقم: ٢٥٨٦

٣ – رواه البخاري– كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ تَعَاوُنِ المُؤْمِنِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، حديث رقم: ٦٠٢٦، مسلم– كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، حديث رقم: ٢٥٨٥



تَدَبَر- ١١٠

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ}.[١]

مسكين هذا الذي يشتري جيفةً منتنةً ينفر الناس من رائحتها، بجوهرة ثمينة يتمنى الناس اقتناءها، مسكين لأنه لا عقل له ولا إدراك، ساءَ فِعْلُهُ وسَاءَ حَالُهُ، مغبونٌ لأنه لا يميز بين الغث والسمين، ولا يُفَرِّقُ بين الطيب والخبيث، ولا يعلم كم بين الحقير والثمين.

ومع ذلك فهذا الذي اشترى جيفةً منتنةً بجوهرةٍ ثمينةٍ أحسنُ حالًا ممن باع آخرته بدنياه، يا لله ما أعظمَ خسارته! وما أشدَ غبنه! وما أقبحَ فعله!

الدنيا دار ابتلاء، إذا حلت أوحلت، وإذا أينعت نعت، لا يدوم لها نعيم ، ولا تبقى لها لذة، هي أشبه ما تكون بالسراب، ومثل الزهرة سرعان ما تذبل وتذهب نضارتها.

والآخرة للمؤمن نورٌ يتلألأ، ونعيمٌ لا ينفد، وقرة عينٍ لا تنقطع، لا يفارقها ولا تفارقه، له فيها ما تشتهي نفسهُ، وتتلذذ به عينه، وما لا يخطر له على بال، ولا يدور بالخيال.

ومع ذلك يتهافتُ كثيرٌ من الناسِ على بيعها، على بيعِ الجَنَّةِ... بتلك الجيفة القذرة.

يرتكبُ كلَ حرامٍ من أجلها، ويفعل كلَ قبحٍ في سبيلِ تحصيلها.

ويرجعُ مسرورًا بحمْلِهَا، مُنتَشِيًا بقتنَائِهَا.

يأنسُ برائحتها التي تزكمُ الأنوفَ، وتُوردُ الحتوفَ.

أتراه يعقل؟

أتحسبه يدرك ما يفعل؟

أتظنه يسمع؟

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٨٦



أتعتقد أنه يبصر؟

اسمع الجواب: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}.[١]

١ - سورة الْمُلْكِ: سورة الآية/ ١٠



تَدَبّر- ١١١

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ .....}.[١]

أعظم الناس خسرانًا من قضى حياته يتقلب في الضلال وهو يحسب أنه من المهتدين، من أفنى عمره الدفاع عن الباطل يحسبه حقًا، من يظن طول عمره أنه يحسن صنعًا، وهو أسوء الناس حالًا، {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأخْسَرِينَ أَعْمَالا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}.[٢]

يظن أهل الكتاب أن تمسكهم بما في أيديهم من الكتب السابقة يكفيهم عن الإيمان بالقرآن آخر الكتب المنزلة من عند الله، وأن إيمانهم بأنبيائهم السابقين يغنيهم عن الإيمان بنبي الله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخر رسل الله تعالى إلى أهل الأرض، {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ}.[٣]

ويستميتون في الدفاع عن باطلهم هذا يحسبونه حقًا، وينهون عما جاء به رسول الله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يظنونه منكرًا، {فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}.[٤]

{رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ٩١

٢ – سُورَةُ الْكَهْفِ: الآية/ ١٠٣، ١٠٤

٣ – سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ: الآية/ ١٨

٤ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ٢٤

تَدَبَر- ١١٢

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.[١]

كيف يخالط الإيمانُ قُلُوبًا يتجرأُ أَصْحَابُهَا على أنبياءِ اللهِ تعالى؟

بدايةً من الإعراض عن الاستجابة لهم وترك طاعتهم، مرورًا بلمزهم والسخرية منهم، وانتهاءً بقتلهم، وكلها تحققت في اليهود، وكان لهم منها النصيبُ الأوفرُ.

ومن بني جلدتنا من يباريهم في ذلك حتى كاد أن يسبقهم سفاهتهم، وجرأتهم، بل وكفرهم.

عندهم من الجرأة على نبي اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رد أقوالهِ، والسخريةِ والاستهزاءِ من أحاديثِهِ.

والزعمِ بأنهم في غنًى عن كلامِهِ.

والتشكيكِ في الصحيح الثابت من حديثِهِ الذي تلقته الأمة بالقبول.

وَرَمْي أصحابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بكلِ نقيصةٍ.

وتكذيبِ حملةِ الشرعِ الذين أفنوا أعمارهم في خدمة الدين، والذب عن أحاديث خاتم المرسلين.

فَإِلَى هؤلاءِ نقولُ: لِمَ تطعنون فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ؟

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٩١



تَدَبَر- ١١٣

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ}.[١]

أرسل الله تعالى رسله بِالْبَيِّنَاتِ الواضحةِ، والدلائلِ الظاهرةِ، والمعجزاتِ الباهرةِ.

فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إلا كُفُورًا، وما زادتهم الْبَيِّنَاتُ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا.

وصدق اللَّهُ تَعَالَى إذ يقول: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}.
سُورَةُ الْحَجِّ: الآية/ ٤٦

تأمل هذا مع قولِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}. سُورَةُ الْقِصَصِ: الآية/ ٥٦

لتعلمَ أَنَّ الهِدَايَةَ مِنْحَةٌ رَبَّانِيَّةٌ، وَهِبَةٌ إِلَاهِيَّةٍ.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٩٢

تَدَبَر- ١١٤

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا}.[١]

لا يصلح لحمل أمانة هذا الدين ضعفاءُ العقولِ، والقلوبِ، سفهاءُ الأحلامِ، مضطربوا الألبابِ.

منتهى أملِ الواحدِ منهم، تحصيلُ لذةٍ، ومعاقرةُ شهوةٍ، وممارسةُ لعبةٍ.

بل لابد أن تتوفر في حَمَلَةِ هذا الدين قوةٌ في الأخذِ عن اللهِ، وقوةٌ في التبليغِ لدينِهِ.

وسماعٌ لكلامِ اللهِ تعالى يدفعُ إلى العملِ.

وإسماعُ كلامِ اللهِ تعالى لسائرِ الخلقِ.

رسالة فهمها الرعيل الأول، فدانت لهم الدنيا.

وفتحوا مشارق الأرض ومغاربها.

فهل نفهمها نحن؟

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٩٣



تَدَبَر- ١١٥

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا}.[١]

قالها اليهود، فاحذر أن تكون مثلهم، فليس لنا مثل السوء.

وبادر إلى طاعة ربك، وسارع إلى رضوانه.

لسان حالك: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}. سورة طه: الآية/ ٨٤

ولسان مقالك: {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}. سورة الْبَقَرَة: الآية/ ٢٨٥

رَكْضًـــا إِلَى اللَّـــهِ بِغَـــيْرِ زَادِ ***** إِلَّا التُّقَـــى وَعَمَـــلِ الْمَعَـــادِ

وَالصَّـــبْرِ فِي اللَّـــهِ عَلَـــى الْجِهَـــادِ ***** وَكُـــلُّ زَادٍ عُرْضَـــةُ النَّفَـــادِ

غَيْـــرَ التُّقَـــى وَالْـــبِرِّ وَالرَّشَـــادِ

١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ٩٣

تَدَبَر- ١١٦

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ}.[١]

أعظم بلاء على العبد أن يكون هواه فيما يسخط مولاه.

فإذا كان كذلك كان عبدًا لهذا الذي يهواه.

فتارة يعبد المعاصي والشهوات.

وتارة يعبد البدع والشبهات.

وتارة يعبد أفكارًا وتأويلاتٍ.

وكل واحد منها عجلٌ كعجلِ بني إسرائيل، بَنَى له في قلبِهِ معبدًا.

قَالَ تَعَالَى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ}.[٢]

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٩٣

٢ - سورة الْجَاثِيَةِ: الآية/ ٢٣



تَدَبَر- ١١٧

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}.[١]

للذنوب والمعاصي آثار خطيرة جد خطيرة على مرتكبيها.

ومن أعظم آثار الذنوب والمعاصي خطرًا على صاحبها؛ أنها تجعله يكره لقاء الله تعالى، وبأي وجه يلقاه وقد سَوَّدَ صحائفَه بالأخطاء والهنات والزلات، بل بالكبائر والموبقات.

بل إنها أحيانًا تقطع على صاحبها خط الرجعة إلى الله تعالى، فيقول كيف أتوب وقد فعلت وفعلت، لاسيما إذا كانت الذنوب لها تعلق بحقوق العباد، فإذا ذُكِرَ الموتُ ارتجفت قلوب العصاة، ليس خوفًا من أهوالِهِ، ولا شفقةً من سكراتِهِ، ولكن لِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ، وبما اقترفوه في حق ربهم.

ولو لم يكن إلا الحياءُ من الله عند لقائه، لكفى به صارفًا للعبد عن المعاصي، فكيف بميزان تُوزَنُ فيه مثاقيلُ الذرِ.

وكيف بالعبد وقد شهدت عليه الجُلُودُ، ونطقت بما كان يفعله الجَوَارِحُ؛ {وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.[٢]

وَشَــــهِدَتِ الْأَعْضَـــاءُ وَالْجَــــوَارِحُ ***** وَبَــــدَتِ السَّـــــوْءَآتُ وَالْفَضَـــــائِحُ

وَابْتُلِيَـــــتْ هُنَالِـــــكَ السَّـــــرَائِرُ ***** وَانْكَشَـــفَ الْمَخْفِـــيُّ فِي الضَّـــمَائِرُ

وكيف بالعبد وهو يُفتَضَحُ على مشهدٍ من الخلائقِ أجمعين.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ٩٥

٢ - سُورَةُ فُصِّلَتْ: الآية/ ٢١

الكلُ يسمعُ ويرى، الكل سيعلم بما كنت تعمل في سرك، عندها يَقُولُ الْعبدُ والحسرة تعتصر الفؤاد: {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}.[1]

يا ليت أمي لم تلدني ليتها كانت عقيمًا، ولكن هيهات هيهات، كيف ينفع الندم وقد كشف الغطاء، وأصبح السر علانية.

مازالت عندك فسحةُ لتتوبَ، مازال فيك نَفَسٌ يتردد، مازال بابُ التوبةِ مفتوحًا، بادر قبل أن تُبَادَرَ، وأقبل قبل أن تؤخذَ قهرًا.

اللهم إنا نسألك توبةً، تسترُ بها العيوبَ، وتغفرُ لنا بها الذنوبَ، وترضى بها عنا يا غفارَ الذنوبِ.

---

١ – سُورَةُ النَّبَأِ: الآية/ ٤٠



تَدَبَر– ١١٨

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ}.[١]

احذر أن تكون عدوًا لله تعالى وأنت لا تشعر، بعض الناس يعادى الحق جهلًا به، ويناصر الباطل اغترارًا به، ونسى قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ}.[٢]

بعض الناس يعادي أهل العلم جهلًا بمكانتهم، واستخفافًا بقدرهم، ونسى قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}.[٣]

بعض الناس يعادي أهل الإيمان والطاعة، ونسى قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الحديث القدسي: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ».[٤]

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٩٨

٢ – سورة لقمان: الآية/ ٣٠

٣ – سورة فَاطِرٍ: الآية/ ٢٨

٤ – رَوَاه الْبُخَارِيُّ– كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ التَّوَاضُعِ، حديث رقم: ٦٥٠٢

تَدَبَر- ١١٩

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ أَنزلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلا الْفَاسِقُونَ}.[١]

عجيب أمر أولئك الذين يرون آيات الله تعالى في كل شيء حولهم ثم لا يؤمنون، فَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ بَاهِرَاتٌ تدل عَلَى عَظَمَةِ خَالِقِهَا وَقُدْرَتِهِ التي ليس لها منتهى، جِبَالٌ، وَبِحَارٌ، وَأَنْهَارٌ، وَقِفَارٌ، وَصُنُوفٌ من النَّبَاتاتِ، وأشكالٌ من الْحَيَوَانَاتِ، وعجائبٌ من الكائناتِ، تنطقُ بأفصحِ لسانٍ، وأوضحِ بيانٍ، على قدرة الديان، {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}.[٢]

وأعظمُ منها بيانًا، وأبلغُ منها لسانًا، آياتُ الله تعالى المنزلةُ على رسلهِ، آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، وحججٌ واضحاتٌ، لا شك فيها ولا امتراء، لا ريب فيها ولا افتراء، أعظمُ كلامٍ، وأفصحُ بيانٍ، {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}.[٣]

وأَنَّى يأتيه الباطل وهو كلام الحق؟

{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا}.[٤]

وكيف يتطرق إليه الشك؟ وهو كلام خالق الأكوان.

{ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ}.[٥]

ومن رأى فيه اختلافًا؟ أو وجد فيه خللًا؟

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٩٩

٢ - سُورَةُ الذاريات: الآية/ ٢٠، ٢١

٣ - سورة فُصِّلَتْ: الآية/ ٤٢

٤ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٨٧

٥ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٢



{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا}.[1]

ومع ذلك لا يرى كثيرٌ من الناسِ نورَهُ، ولا يتلذذون بعذوبة منطقِهِ، ولا تدهشهم عظمتُهُ، ولا تبهرهم روعتُهُ.

قد تُنْكِرُ العينُ ضوءَ الشمسِ من رَمَدٍ ***** وينكـرُ الفـمُ طعـمَ المـاءِ مـن سـقمِ

فاحمدْ اللهَ على العافيةِ، وتَعَوذْ بالله من دَرَكِ الشقاءِ.

اللهم اجعل القرآن لقلوبنا دواءً، ولذنوبنا ممحصًا، وعن النار مخلصًا.

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٨٢

تَدَبَر- ١٢٠

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ}.[١]

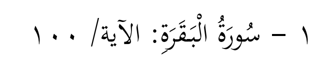
هذا كلام ربنا في اليهود، وهذا حكمه عليها، أنهم أهل غدر لا وفاء لهم.

لا يُعَاهِدُونَ عَهْدًا إِلَّا نَقَضُوهُ وَنَبَذُوهُ.

يُعَاهِدُونَ الْيَوْمَ، وَيَنْقُضُونَ غَدًا.

فنقول لحلفائهم: أبشروا بالخيبة.

ولا تنتظروا إلا الغدرَ.



١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٠٠

تَدَبَر- ١٢١

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}.[1]

يظن البعض أنه إذا تغافل فترك واجبًا، أو تعامى ففعل محرمًا.

أن ذلك يبرئُ ساحته أمام الله.

وأن ما يروج عند الناس، يمكن أن يروج عند رب الناس.

ضعفت عقولهم، فساءت بالله ظنونهم.

{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}.[2]

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٠١

٢ - سُورَةُ الزُّخْرُفِ: الآية/ ٨٠

تَدَبَر- ١٢٢

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ}.[١]

ما أكثرَ أولئك الذين يتبعون مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ!

وما أكثرَ أولئك الذين يتحالفون مَع الشَّيَاطِينِ!

ما أكثر أولئك الذين يتركون ثوابتهم!

ويتخلون طوعًا عن مبادئهم!

إذا كانت عقبة في سبيل تحقيق مآربهم.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٠٢

تَدَبَر- ١٢٣

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ}.[١]

ليس كل علم نافعًا.

وليس النفع ما تتوهمه أنت.

فإن بعض العلوم يظلم القلب، ويطفئ نور البصيرة.

فاتخذ من العلوم ما يحدو بك في طريقك إلى الله.

واحرص إذا تعلمت أن تتعلمَ علمًا يورثك خشية الله.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَلَكِنَّ الْعِلْمَ الْخَشْيَةُ».[٢]

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٠٢

٢ - رواه أحمد في الزهد- رقم: ٨٧٢ ، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ١٣١)

تَدَبَر– ١٢٤

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا}.[١]

هما صنفان من هذه الأمة الأول من يراعي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أقصى حد، يتفقد سمعه فلا يسمع منه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا كل جميل ويتفقد بصره فلا يرى منه إلا كل حسن، ينتقى ألفاظه عندما يخاطبه إنتقائه لأطايب الثمر، فاذا تبسم له النبي أضاءت الدنيا وتبسم له الودود معه وأشرقت نفسه ، ورقص الفؤاد طربًا.

اسمع إلى ما يقوله جَرِيرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ».[٢]

فإذا قال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في معرض الثناء كلمةً، فهي أحب عنده من الدنيا وما فيها، فَلا ينفك عن ترداده: «قَالَ لِي كَلِمَةً مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا».[٣]

وَرَدَ هذا عن عمر وعلي، وورد مثل هذا عَنْ عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ وغيرهم رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ.

وإذا لم يرد عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوابًا ارتاع قلبه واضطربت نفسهُ، وعاد باللائمةِ عليها، قائلا لنفسه: (ويحك ماذا جنيت حتى لا يرد عليك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ لَهُ، فَانْطَلَقْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَقَدْ قَضَيْتُهَا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَوَقَعَ فِي قَلْبِي مَا اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٠٤

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ التَّبَسُّمِ وَالضَّحِكِ، حديث رقم: ٦٠٨٩، ومسلم– كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، حديث رقم: ٢٤٧٥

٣ – رواه النسائي في السنن الكبرى– كِتَابُ الْخَصَائِصِ، ذِكْرُ مَا خَصَّ بِهِ عَلِيًّا مِنَ الدُّعَاءِ، حديث رقم: ٨٤٨٢



وَجَدَ عَلَيَّ أَنِّي أَبْطَأْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَوَقَعَ فِي قَلْبِي أَشَدُّ مِنَ المرَّةِ الأُولَى، ثُمَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ، فَقَالَ: «إِنَّمَا مَنَعَنِي أَنْ أَرُدَّ عَلَيْكَ أَنِّي كُنْتُ أُصَلِّي».[1]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا نُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَرُدُّ عَلَيْنَا السَّلَامَ حَتَّى قَدِمْنَا مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَأَخَذَنِي مَا قَرُبَ وَمَا بَعُدَ....... ».[2]

وصنف لا يتورع عن قبيح الكلام مع النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ}.[3]

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ}.[4]

ومنهم من شأنه السخرية والاستهزاء من كلامه، فلا يكترث لكلامه، ولا يهتم بحديثه ويظهر ذلك سخرية واستهزاء.

كما قال تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا}.[1]

---

١ – رواه البخاري– كتَابُ فَضْلِ الصَّلاَةِ فِي مَسْجِدِ مَكَّةَ وَالمدِينَةِ، أَبْوَابُ العَمَلِ فِي الصَّلاَةِ، بَابُ لاَ يَرُدُّ السَّلاَمَ فِي الصَّلاَةِ، حديث رقم: ١٢١٧، ومسلم– كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ، حديث رقم: ٥٤٠

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٣٥٧٥، النسائي– كِتَابُ السَّهْوِ، الْكَلَامُ فِي الصَّلَاةِ، حديث رقم: ١٢٢١، بسند صحيح

٣ – سورة التوبة: الآية/ ٦١

٤ – سورة التوبة: الآية/ ٤٩

والفارق بين الصنفين هو تماما الفارق بين الإيمان والكفر، {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}.[٢]

شتان بين محب ومبغض، شتان بين مؤمن ومنافق.

اللهم احشرنا في زمرته وتحت لوائه، وأدخلنا مدخله، وارزقنا شفاعته، ونسألك مرافقته في الجنة.

---

١ - سورة محمد: الآية/ ١٦

٢ - سورة التوبة: الآية/ ٦٥، ٦٦

تَدَبَر- ١٢٥

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنزلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ}.[١]

الذي يخاطبنا هو الله تعالى الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، الذي يعلم ما تكنه النفوس، وما تضمره القلوب؛ لأن الخلق خلقه، {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}.[٢]

فالذي يزعم بعد ذلك أنهم - أعني الكفار على اختلاف مللهم وتباين نحلهم - الذي يزعم أنهم يريدون لنا الخير فهذا يكَّذِبُ صريح القرآن وَيَرُدُّ على الله تعالى قوله، الذي يظن أن قلوبهم لا تنطوي إلا على محبتنا، هو في الحقيقة لا يؤمن بالقرآن، فإن كلام الله تعالى ليس كغيره من الكلام.

وتأمل قول الله تعالى: {مِنْ خَيْرٍ}، التي تفيد أن أدنى خيرٍ وأقلَ فضلٍ يحدث لهذه الأمة يسوءُ أعداءَهَا، وأنهم حريصون كل الحرص على منع أي خير ولو كان قليلًا من الوصول إلى المسلمين، ويكفي أن تجول ببصرك حولك، وتقلب طرفك في أحوال أُمَّتِكَ، لترى أطفال المسلمين يموتون جوعًا، في سوريا والعراق والسودان والصومال وغيرها من بلاد المسلمين، ويُرْمَى فائض الإنتاج في أوربا وأمريكا في البحر للمحافظة على السعر العالمي.

لهذا هذا فحسب بل من أراد مساعدتهم من المسلمين أنفسهم يحكم عليه بتمويل الإرهاب، أما ما نراه من هيئات إغاثية، فهي في حقيقتها منظمات تنصيرية، لا تريد إغاثة المسلمين من الجوع والفقر، وإنما تريد سلخ المسلمين من دينهم، شعارهم: (اخلع عنك دين الإسلام نخلع عنك الجوع والفقر).

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٠٤

٢ - سورة الْمُلْكِ: الآية/ ١٤



كما يحدث في أفريقيا جهارًا نهارًا.

أو نشر الأمراض الفتاكة، والأوبئة المهلكة، وما حادثُ الممرضات البلغاريات اللواتي حقن الأطفال الليبين بالإيدزِ عنا ببعيدٍ، وما سرقةُ المنظمات الأوربية تدعي أنها إغاثية لأطفالِ المسلمين عَنَّا ببعيدٍ كذلك.

وأخيرًا ما كشفت عنه وسائل الإعلام من اختفاء أكثر من ثمانين ألفًا من الأطفال السوريين اللاجئين في أوربا.

وما سكوت العالم الغربي والشرقي على قتل عشرات الآلاف من الأطفال السوريين بالكيماوي، والبراميل المتفجرة، والأسلحة الفتاكة التي تحصدهم كل يوم، إلا رضًا بقتلهم!

فضلًا عن غيرهم من النساء والشيوخ.

عدوك عدو دينك.

اللهم انصر الإسلام، وأعز المسلمين.



تَدَبَر– ١٢٦

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ}.[١]

أنت اختصك الله عز وجل برحمته، نعم اختصك أنت، أليس هذا اصطفاءً من الله تعالى أن يجعلك مسلمًا، وحولك مليارت من البشر، منهم من يعبد الحجر، ومنهم من يعبد البقر، ومنهم من يعبد البشر، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}.[٢]

ثم اصطفاك الله تعالى اصطفاءً ثانيًا، فوفقك لسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحولك من يحارب السنة ويزعم أنه مسلم.

حباك الله تعالى بنعمة العقل ولو شاء لسلبه منك فلم تجد من يداويك أو يرد إليك عقلك، {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ}.[٣]

نشأت سوي الخلقة، سميعًا بصيرًا تتكلم، وكم من الناس نشأ أعمى البصر، أوعاش فاقدًا للسمع، أبكم لا يستطيع أن ينطق حرفًا، تذهب وتجيء تأكل وتضحك، وكم مِنَ الناس مَنْ شلت أركانه، وتعطلت حواسه، {قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ}.[٤]

فلم الحزن ؟ ولم الاكتئاب؟ ولم الضجر؟ ولم التسخط؟ وأنت ممن اصطفاهم الله.

وما الذي فاتك من الدنيا لتحزن عليه؟ وأنت من أهل رحمة الله.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٠٥

٢ – سورة الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٦١

٣ – سورة الْأَنْعَامِ: الآية/ ٤٦

٤ – سورة الْمُلْكِ: الآية/ ٢٣

ألست تؤمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيًا؟ فهذه رحمة من الله، وهذا فضل عظيم، {وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ}.

وما عليك إلا أن تحمد الله، ويلهج لسانك بالشكر دومًا.

فيارب لك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالقرآن، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت.



تَدَبَر– ١٢٧

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.[١]

اللَّهُ تَعَالَى لا أعظم منه فضلًا، ولا أكرم منه عطاءً، تعهدك بفضلِهِ وإحسانِهِ، وأنت جنينٌ في بطنِ أمك، لا حول لك ولا قوة، {يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ}.[٢]

صَوَّرَكَ فِي أَحْسَنِ صورةٍ، فَرَكَّبَ عِظَامَك بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، وَكَسَاهَا اللَّحْمَ، وَجَعَلَ فِيهَا الْعُرُوقَ وَالْعَصَبَ، وَشَقَّ سَمْعَك وَبَصَرَك، وَصَوَّرَ فَمَك وأنفَك وَأُذُنَكَ، وَفَرَّقَ أَصَابِعَك، وَشَدَّ رُؤُوسَهَا بِالْأَظْفَارِ، وَكُلُّ هَذَا فِي تِلْكَ الظُّلُمَاتِ الثَّلاثِ، ظُلْمَةِ الْبَطْنِ، وَظُلْمَةِ الرَّحِمِ، وَظُلْمَةِ الْمَشِيمَةِ.

فلما خرجت إلى الدنيا، لا سن لك تقطع، ولا يد لك تبطش، ولا عقل لك يدبر، أنزل الله لك رزقا ما ساقه لك أبواك، ولا تفضل به عليك مخلوق، وسخر لك من يقوم على رعايتك، ويتفقد أمورك، بمحبة قذفها في قلب أبيك وأمك، وقبلَ أنْ تستقلَ بك قَدَمَاكَ، وَكَّلَ اللهُ بك مَنْ يحفظُك من الملائكةِ، {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}.[٣]

ومن عظيمِ فضلِهِ، وسابغِ إحسانِهِ، أنزلَ الكتبَ لهدايتك، وأرسلَ الرسلَ لتدُلَك على خَالِقِكَ، وَتُخْرِجَك مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}.[٤]

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٠٥

٢ – سورة الزُّمَرِ: الآية/ ٦

٣ – سورة الرَّعْدِ: الآية/ ١١

٤ – سورة المائدة: الآية/ ١٥، ١٦

وَسَخَّرَ لَكَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ،من شموس وأقمار وكواكب، وَمَا فِي الأَرْضِ من بحار وأنهار وجبال وأشجار ودواب، لتصفو لك العبادة، وتستعين بها على العبادة؛ {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ}.[1]

ثم وعدَك على طاعَتِهِ وعبادَتِهِ جَنَّةً عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ.

فهل رأيتَ أعظمَ منه فضلًا؟ وهل تعلمُ أفضلَ منه عطاءً؟ {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}.[2]

فمَا أسعدكَ بربِكَ، ومَا أشقَى مَنْ لا رَبَّ له يناجيه.

---

١ - سورة الْجَاثِيَةِ: الآية/ ١٣

٢ - سورة غَافِرٍ: الآية/ ٦٤

تَدَبَر– ١٢٨

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}.[١]

لا يأتيك من الله تعالى إلا جميل، ولا يصيبك منه إلا كل خيرٍ .

فَسَلِّمْ لَهُ أَمْرَكَ وَأَسْلِمْ لَهُ قِيَادَكَ، وَاعلمْ أَنَّهُ: (لَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ).

فَرَبُكَ جَلَّ وَعَلَا لهُ الأمْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، {لِلَّهِ الأمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ}.[٢]

وَلَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، لَا رَادَّ لِأمْرِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأمْرُ}.[٣]

وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّ الأمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ}.[٤]

فَلَا تَغُرَّنَّكَ شُبُهَاتُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، وَلَا تَخْدَعَنَّكَ أَبَاطِيلُ الَّذِينَ لَا يُؤمِنُونَ، وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٠٦

٢ – سُورَةُ الرُّومِ: الآية/ ٤

٣ – سورةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٥٤

٤ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١٥٤



تَدَبَر- ١٢٩

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ}.[١]

لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم علم اليقين أنه ليس له مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ يدفع عنه سواءً أراده اللهُ به، وليس له مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ يجلب له نفعًا منعه الله إياه.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ}.[٢]

نعم لا يكون العبد مؤمنًا إذا ظن أنه سيكون عزيزًا إذا اتخذ من دون الله معبودًا، أو ارتضى سوى الله إلهًا.

ولما ظن فريقٌ من الناس ذلك أذلهم الله، وَقَالَ تَعَالَى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا}.[٣]

ولو بحثت عن مصدر كل ذلةٍ، ولو تتبعت كل هوان، لوجدتَ سببَه البعدُ عن الله تعالى، وبقدر بُعدِ العبدِ عن الله تعالى يكون شقاؤه، ويكون ذُله، ويكون هوانه، وهذه سنة كونية لا تتخلف أبدًا، ولا تتبدل بحالٍ؛ {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا}.[٤]

ويستوي في ذلك كل من تنكب الطريق إلى الله، وخالف أمر الله تعالى، فردًا كان أو جماعةً، أو شعبًا، أو حتى أمة، وهذا هو سر تحول هذه الأمة من القمة إلى القاع، ومن الرأس إلى الذيل،

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٠٧

٢ - سورة يُونُسَ: الآية/ ١٠٧

٣ - سورة مَرْيَمَ: الآية/ ٨١ ، ٨٢

٤ - سورة الْأَحْزَابِ: الآية/ ٦٢



ومن المقدمة إلى المؤخرة، نعم لما تحقق فينا قول الله تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا}.[1]

كنا أعز الناس على وجه الأرض، لنا أمة مرهوبة الجانب، عزيزة المنال، سامية المنزلة، لأننا اعتصمنا بربنا، واتخذنا من طاعته وعبوديته سبيلًا للعزِ لا يحيد، وسببًا للمجد لا ينقطع؛ {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا}.[2]

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ».[3]

ونحن ابتغينا العز عند الشرق تارة، وعند الغرب أخرى؛ فهذا حالنا لا يخفى على أحدٍ، وذلنا ظاهر للقاصي والداني، حتى أصبحنا كالأيتامِ على موائدِ اللئامِ.

وهل يكون العز إلا من العزيز؟

العـــز في كنـــف العزيـــز، ومـــن ***** عبـــــــد العبيـــــــد أذلـــــــه الله

اللهم أعزنا بطاعتك ولا تذلنا بمعصيتك.

---

١ – سورة المائدة: الآية/ ٥٥

٢ – سورة فَاطِرٍ: الآية/ ١٠

٣ – رواه الحاكم في المستدرك– حديث رقم: ٢٠٧

تَدَبَر– ١٣٠

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ}.[١]

اعتبر بغيرك، واحذر أن تكون عبرة لغيرك.

ذم الله تعالى بني إسرائيل لعنادهم وتعنتهم مع أنبيائهم، وسؤالهم ما لا ينبغي لهم أن يسألوه، وليس لنا مثل السوء كما قال نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فسقطوا من عين الله تبارك وتعالى.

وتأمل كيف لم يذكرهم الله تعالى احتقارًا لهم!

فلم يقل: أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ بنُو اسرائيلَ مُوسَى، لأنهم أحْقَرُ وأَهْوَنُ من أن يذكرهم اللهُ تعالى، وكذا كل من استهان بأمر الله، هان أمره على الله، فأهانه الله.

{وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ}.[٢]

اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعزنا ولا تذلنا.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٠٨

٢ – سورة الحج: الآية/ ١٨



تَدَبَر- ١٣١

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}.[1]

إن أعظم منحة يمنحها الله تعالى للعبد أن يهديه للإيمان.

نعم الإيمان منحة ربانية، فكم ممن يشار إليه بالبنان، ويصدر الناس عن رأيه، ويقدم في المحافل، ويظن من رآه أنه أعقل الناس، ومع ذلك قلبه قفر من الإيمان، وهو من أبعد الناس عن ذكر الرحمن.

وأعظم خسران أن يُعْرِضَ العبدُ عن هذه المنحةِ الربانية، وأن يستنكف عنها، وأن يشمزَ قلبُه من أن ينسب إليها، فيأنف أن يقال: فلان من أهل الإيمان، في حين يفرح أن يقال عنه ليبرالي، أو علماني، أو...، أو.....

ومن كان كذلك فأنى له أن يحقق هدفًا، أو يصل إلى غاية، وهو يعيش في عماية، ويسير على غير هدى، ضَلّ عن سَوَاءِ السَّبِيلِ، فليس في الخلق من هو أضل منه، وليس في الخلق من هو أبعد عن الحق منه.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٠٨

تَدَبَر- ١٣٢

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ}.[١]

مخطئ من يظن أن اليهود والنصارى عندهم في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شك أنه مبعوث من رب العالمين، ولكن من يفتقد للإنصاف يحيل الباطلَ حقًا والحقَ باطلًا، ويرى النورَ ظلامًا دامسًا، والظلامَ نورًا مبهرًا.

إنه العمى، عمى البصائر، وعمى القلوب، {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}.[٢]

هذا العمى، وهذا الضلال هو الذي حمل اليهود على أن يقولوا للوثنيين، وقد سألوهم فَقَالُوا لَهُمْ: أَنْتُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ وَأَهْلُ الْعِلْمِ، فَأَخْبِرُونَا عَنَّا وَعَنْ مُحَمَّدٍ، فَقَالُوا: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَهْدَى سَبِيلًا.

هذا العمى، وهذا الضلال هو الذي حمل أحدهم على أن يحرق كتاب الله (القرآن) فلما سئل هل قرأته؟ قال لا.

تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ، ولكن ليس عندهم من الأنصاف ما يدعوهم إلى الإيمان به، وليس عندهم من الأخلاق ما يحملهم على توقيره.

أكل الحقدُ قلوبَهُم، وأعمى الحسدُ بصَائِرَهُم، وأَنَّ لمثلِ هؤلاء الإيمانُ، والإيمانُ لا ينفذ شعاعُهُ إلا إلى قلوبٍ صافيةٍ، صافيةٍ من الحقدِ، والحسدِ.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٠٩

٢ - سورة الْحَجِّ: الآية/ ٤٦



تَدَبَر– ١٣٣

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ}.[١]

لا يكفي لمتابعة الحق والانقياد له ظُهُورُه وَوُضُوحُه، فقد ظهر الحقُ ظهورًا بَيِّنًا لكثيرٍ من الناس، قال الله تعالى: {وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا}.[٢]

وما زادهم ذلك إلا إعراضًا، وما ازدادوا إلا غيًّا وطغيانًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ}.[٣]

وإنما يشترط لقبول الحق مع وضوحه، أن تكون النفسُ مهيأةً لاستقباله، قد انتفت منها أسبابُ رَدِّهِ، وموانعُ قَبُولِهِ، ومنها الحسدُ، والكبرُ، وهما من أخطرِ الآفاتِ التي تصيبُ النفسَ.

والكبرُ أولُ ذنبٍ عُصِيَ اللهُ تعالى به في السماء، والحسدُ أولُ ذنبٍ عُصِيَ اللهُ تعالى به في الأرض.

وإنما مثل هذين الشرطين لقبول الحق – أعني بهما ظهور الحق وصلاح النفس – مثل ذلك كمثل النور وصحة الإبصار للرؤية، فإذا وجد النور وانتفى الإبصار لا تتحقق الرؤية، وإذا سلم البصر وانتفى النور لا تتحقق الرؤية، لأنها لا تتحقق إلا بهما معًا.

ومثل ذلك أيضًا كمثل موجات الأثير التي في الفضاء، لا يسمع لها صوت ولا توجد لها صورة إلا بجهاز سليم ليستقبلها.

---

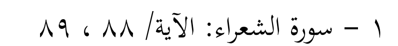
١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٠٩

٢ – سورة الإسراء: الآية/ ٥٩

٣ – سورة الأنعام: الآية/ ١١١

ومن هنا يتبين لنا معنى قول الله تعالى: {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}.[1]

اللهم إنا سألك أن تُسَلِّمَ قلوبَنا من الكبر والحقد والحسد وسائر الآفات.



١ – سورة الشعراء: الآية/ ٨٨ ، ٨٩

تَدَبَر– ١٣٤

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىَ: {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.[١]

تعهد قلبك فلا تدع فيه على أحدٍ من المسلمينَ حقدًا ولا حسدًا ولا غلًا، فإنْ أساءَ إليك فاعفُ وتذكر أن الجزاءَ من جنسِ العملِ، {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ}.[٢]

وتذكر أن الله تعالى تكفل بأجرِ من عفا وأصلح، {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}.[٣]

فإن كنت تريد السمو والرفعةَ عند الله تعالى فلا بد من الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ معًا فإن الْعَفْوَ: هو تَرْكُ الْمُؤَاخَذَةِ بِالذَّنْبِ. وَالصَّفْحَ: هو إِزَالَةُ أَثَرِ الذَّنْبِ مِنَ النَّفْسِ.

وهذا هو الإحسان كما قال الله تعالى: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.[٤]

وتذكر أيضًا أَنَّ اللَّهَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لو شاء لأهلك من عصاه، ومع ذلك فهو عفو يحب العفو.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٠٩

٢ – سورة النُّورِ: الآية/ ٢٢

٣ – سورة الشورى: الآية: ٤٠

٤ – سورة آل عمران: الآية/ ١٣٤

تَدَبَر- ١٣٥

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.[١]

كل خير فعلته فإنما تفعله لنفسك، وكل معروف فإنما مرده إليك، وكل ثواب سَيَعُودُ نَفْعُهُ وَثَوَابُهُ حتمًا عليك، ألم تسمع قَوَلَ اللَّهِ تَعَالَى: {وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ}.[٢]

ألم تسمعْ قَوَلَ اللَّهِ تعَالَى: {وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ}.[٣]

ومهما كان هذا الخير قليلًا، ومهما كان في نظرك حقيرًا، فإن له عند الله تعالى وزنًا، ولا يضيع منه مثقال ذرة، وكيف يضيع منه شيء وهو عند الله تعالى، وَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وكيف ينقص منه شيء، وقد تقبله اللَّهُ تَعَالَى، وما تقبله الله يكون مباركًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ».[٤]

فانظر ما تقدم لله تعالى، فإن الله لا يقبل الخبيث، ولا يرضى بالقبيح، ويرد ما لم يكن له خالصًا، {أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا}.[٥]

استحضر في نفسك أنه بك عالمٌ، وعلى نيتك مطلعٌ، وبعملك بصير.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١١٠

٢ – سورة لقمان: الآية/ ١٢

٣ – سورة الرُّومِ: الآية/ ٤٤

٤ – رواه البخاري– كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ لِقَوْلِهِ: {وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ، وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}. [البقرة: ٢٧٧] ، حديث رقم: ١٤١٠

٥ – سورة الْأَحْقَافِ: الآية/ ١٦



تَدَبَر– ١٣٦

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ}.[١]

بعض الأماني منحٌ إلاهية، وكثيرٌ من الأماني كذبٌ وغرورٌ وسفهٌ ومحنٌ وابتلاءٌ.

فمن المنح أن يتمنى العبد الجنة وقد سار في طريقها، وأخذ بأسباب دخولها، وجد واجتهد في تحصيلها، ومن المنح أن يتمنى الخير عند فقد أسبابه، وتعذر تحقيقه؛ فعَنْ أَبِي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِى فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِى مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ..... ».[٢]

ومثال الأماني التي هي كذبٌ وغرورٌ وسفهٌ، أن يتمنى الإنسانُ الجنةَ، ولم يأخذْ بأسبابِ دخولها، ولم يمش يوما في طريقها، فلم يعرف الإيمان إلى قلبه سبيلا، ولم تخضع بطاعة الله جوارحه، قال الحسن: (إن قومًا خرجوا من الدنيا وقالوا نحن نحسن الظن بالله، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل).

ومن تلك الأماني الكاذبة أن يظن أبعد الناس عن الله، أنه أقرب الناس لله تعالى، وأن له عنده الحظوة، وأنه من المصطفين الأخيار، فإذا ابتليت هنالك السرائر، وانكشف المخفي في الضمائر، وكشف الغطاء عن الأعمال، وافتضح كل مخادع ختال، تبين القريب من البعيد، والصالح من الطالح، والمصلح من المفسد.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١١١

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٨٠٣١، والترمذي– أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، حديث رقم: ٢٣٢٥، بسند صحيح



{وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ}.[1]

فاحذر أن يكون إيمانك أماني، وأعمالك غرور، وظنك بالله خداع.

اللهم إنا نعوذ بك أن نكون بك مغرورين، ولأنفسنا مخادعين.

---

١ – سورة الزمر: الآية/ ٤٧



تَدَبَر- ١٣٧

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.[١]

ما أسهل الدعوى إذا كانت بلا دليل، فكم من مدعٍ للإصلاح وهو من أشد الناس إفسادًا؛ {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ}.[٢]

وكم من مدعٍ للإيمان وهو من أبعد الناس عن الدين؛ {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ}.[٣]

فيقال لهؤلاء وأولئك: هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ، هَاتُوا حُجَّتَكُمْ ودَلِيلَكُمْ عَلَى مَا تَقُولُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في دعواكم؛ فإن كُلَّ قَوْلٍ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ، فَهُوَ بَاطِلٌ.

وليس الإصلاح ما تظنه أنت، ولا الدين ما تَرَاهُ أنت، وإنما الإصلاح ما بَيَّنَ معَالِمَهُ الشرعُ، والدين ما رسم حدوده الله تعالى.

فاحذرْ أن تدين بما لم يشرعه الله، أو تنتهج في الإصلاح سبيلًا لم يأذن به الله.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١١١

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١١

٣ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٢٠٦

تَدَبَر- ١٣٨

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}.[١]

أسمى مرتبة للعبد في الدنيا أن يكون محسنًا.

وَالإِحْسَانُ في كلِ شيءٍ ذروتُهُ وكمالُهُ.

فالكمال في العبودية أن يستشعر العبد معية الله تعالى.

ويستحضر مراقبة الله تعالى له، وهذا هو الإِحْسَانُ، «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».[٢]

ومن كان كذلك كوفئ بتمان الأجر يوم القيامة، وكمال النعيم في الجنة، {فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}. لأن الجزاء من جنس العمل.

وقريب من هذا قول الله تَعَالَى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}.[٣]

وبحسب كمال الإيمان، وتحقيق الإحسان، يكون الاهتداء والأمن التام في الدنيا والآخرة.

وبحسب ما ينقص من الكمال هنا، يكون النقص هناك.

فاحرص أن تكون مع إسلامك وإيمانك من المحسنين.

فإنه الكمال البشري، وهو أسمى المقامات وأرفعها.

وهو صفة الصفوة من عباد الله.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١١٢

٢ - جزء من حديث رواه البخاري- كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ، حديث رقم: ٥٠، ومسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، كِتَابُ الطَّهَارَةِ، حديث رقم: ٨

٣ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٨٢



وتذكر: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.[1]

اللهم اجعلنا من المحسنين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٩٥

تَدَبَر- ١٣٩

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ}.[١]

أسوأ حالاتِ الإنسانِ أن يخالفَ قناعاتِهِ، وأن يطرحَ ثوابتَهُ، وأن يجعلَ الْمُسَلَّمَاتِ والبَدِيهِيَاتِ وَرَاءَهُ ظِهْرِيًا، ثم ينساقُ وراءَ هَوَاهُ، ولا يَلْتَفِتُ لِشَيءٍ سِوَاهُ.

يعلم حكم الله، وربما يقرؤه كل يوم في صلاته - إذا كان يصلي - {وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ}.

ولكنه يتعامى عنه، ويتصامم عنه كأنه لا يسمع ولا يبصر، كحال كثير من بني جلدتنا الذين تركوا قناعاتهم، وثوابتهم وساروا وراء أهوائهم ، بغير تفكر ولا تعقل ولا روية، كأنهم لا يعلمون.

فهذا يحكم بغير ما أنزل الله تعالى، وهو يعلم تماما ما هو حكم الله.

وهذا يوالي أعداء الله تعالى وهو يعلم تماما ما هو حكم الله.

وهذا يفتي بما يخالف شرع الله، وهو يعلم تماما ما هو حكم الله.

ومن كان هذا حاله فإنما يخشى عليه سوء الخاتمة؛ لأنه يخشى عليه من عمى البصيرة.

يخشى أن يؤول أمره إلى أن يرى الحق باطلا والباطل حقا، ويرى المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، ويرى الخير شرًا والشر خيرًا.

وأنى لمثل هذا أن يفيق، ومتى يرجع وقد سار سار في طريق قلما سلكه أحد وعاد.واسألوا التاريخ عن قوم لوط الذين قالوا عن نبيهم وآله: {أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}.[٢]

هل رجعوا عما كانوا عليه؟

وأين هم الآن؟

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١١٣

٢ - سورة النَّمْلِ: الآية/ ٥٦



تَدَبَر- ١٤٠

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ}.[١]

بعض الناس لا تلمس في كلامه مسحة من فهم، ولا أثارة من علم، يظل صامتا حتى إذا تكلم قلت: ليته سكت، من سوء منطقه، وقبيح كلامه، إذا تكلم وقع في الأعراض، وخاض في المحرمات، وإذا غضب سب أقذع السباب، وإذا مدح أطرى وفاق كل كذاب، لا يسلم منه جليسه، ولا يأمن من أذاه رفيقه، إذا عاتب حرج أشد التجريح، وإذا اعتذر أساء من حيث لا يدري. وقد قيل: (القَوْلُ يَنفُذُ ما لا تَنْفُذُ الإبَرُ).

إذا تحدث فالكذب شعاره، وإذا مزح فالسفه دثاره، لسانه من أمام قلبه، لا يعرض عليه ما يقول، ولا يتبين ما في كلامه إلا بعد وقوع البلاء، فيندم ولات حين مندم، ويتأسف حين لا يغني الأسف، سبب كل هذا البلاء العظيم والشر المستطير الجهل؛ لذلك قيل: (المرء مخبوء تحت لسانه).

فاحرص إذا تكلمت أن يكون كلامك كلام العلماء، ومنطقك منطق العقلاء، لا يستخفنك الطيش، ولا يستهوينك الباطل، ولا يستجرينك الشيطان.

واعلم أنك مسؤول عن كلامك، ومحاسب على منطقك، {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}.[٢]

احفظْ لسانَكَ أيها الإِنسانُ ***** لا يقتلنكَ إنه ثعبانُ

كم في المقابر من قتيلِ لسانهِ ***** كانت تخافُ لقاءَه الأقرانُ

اللهم احفظ ألسنتنا من قالة السوء، واحفظ قلوبنا من اعتقاد السوء، واحفظنا من كل بلاء.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١١٣

٢ - سورة ق: الآية/ ١٨

تَدَبَر- ١٤١

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا}.[١]

الظلم دركات بعض شر من بعض، وكلها ظلمات هي عبارة عن تيه من دخله لا يكاد يخرج منه، وأسوأ الناس حالا في الظلم، من حال بين الناس وربهم، فمنع العباد بيوت الله تعالى، ومنع بيوت الله تعالى أن يذكر فيها اسمه، وأن يُسَبَحَ فيها بحمده، وقد مر عبر التاريخ من هذا الصنف كثير، هُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا، وأُزْهِقَت أرواحٌ بغير جريرة، وقتلت نفوس بغير ذنب سوى أنها أبت أن يكون لها معبودًا سوى الله، {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}.[٢]

وفي عصرنا كم من المساجد هدمت، وكم من المساجد أحرقت، وكم من المساجد أغلقت، فليقولوا ما شاءوا من أسباب، وليسوقوا ما شاءوا من مبررات، ولكنهم في حكم الله أظلم الناس، طواغيت نازعوا الله سلطانه، ومنهم من استنكف أن يركع الناس لغيره، أو يسبح الناس إلا بحمده.

أليس منهم من قال أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى؟

أليس منهم من قال: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ؟

أليس منهم من قال: مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي؟

إذا رأيت من تجرأ على بيوت الله تعالى، فأغلقها، أو هدمها، أو سعى في خرابها، فلا تنتظر له إلا الهلاك، لأنه ينازع الله تعالى في سلطانه، ويحارب الله تعالى في أرضه، وهل لأحد بحرب الله تعالى من طاقة؟ {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}.[٣]

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١١٤

٢ - سورة البروج: الآية/ ٨

٣ - سورة البروج : الآية/ ١٢



تَدَبَر- ١٤٢

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.[١]

مهما بحثت عن أشد عذاب في الدنيا فلن تجد أشد من الخزي والعار، حتى يود من يتعرض لذلك الخزي لو أنه وسد في التراب دفينا، ويتمنى لو أنه كان نسيًا منسيًا، وأعظم خزي وأقبح عار ذلك الذي يكون سببه محاربة الدين وأهله، أو خيانة الأمة، والتآمر على أهل الملة، وموافقة الأعداء في كيدهم.

هذا الصنف من الناس حَكَمَ اللهُ تعالى عليه بالفضيحة والعار والخزي في الدنيا، مهما نعق الناعقون بمحاسنهم، ومهما علت الأبواق بفاضائلهم، ومهما سُوِّدَت الصحائف بإنجازاتهم، سيلازمهم الخزي، ويلاحقهم العار جزاءً وفاقًا، وحكمًا لله تعالى لا يرد، وسنة كونية لا تتخلف.

وإن شئت فانظر إلى مسيلمة الكذاب كيف لاحقه العار في حياته، ولازم ذكره بعد موته، فلا يذكر إلا وتذكر فضائحه.

ولا يقتصر الخزي والعار على الدنيا، بل يفضحهم الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة.

وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ، وإذا قال العظيم عن شيء أنه عَظِيمٌ فلا تسأل عن عظمته.

خزي في الدنيا، وعار في عرصات القيامة، وعذاب عظيم في النار، جمع الله تعالى لهم أعظم عذاب الدنيا وأشنعه، وأعظم عذاب الآخرة وأبشعه.

فيالقبح عيشهم، ويالسوء منقلبهم، ويالبؤس مآلهم.

اللهم إنا نعوذ بك من خزي الدنيا، وعذاب الآخرة.

١- سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١١٤

تَدَبَر- ١٤٣

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}.[١]

تأمل في تَذْيِيلِ هذه الآية بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}، لتعلم مدى سَعَةِ مُلْكِ اللهِ، وعَظِيمِ قدرته، وَوَاسِعِ فضلِهِ، وسَعَةِ رحمته سبحانه، فهو سبحانه أكرم وأرحم وأجلُّ من أن يُخَيِّبَ رجاءَ من رجاه، أو يُحبطَ سَعْيَّ من سَعَىَ مخلصًا لمرضاته.

فالله تبارك وتعالى وَسِعَ خَلْقَهُ كُلَّهُمْ بِالْكِفَايَةِ، وَالْإِفْضَالِ، وَالْجُودِ، وَالْعَطَاءِ، وَالْمَغْفِرَةِ، والرحمة، والعلم، وَالْقُدْرَةِ ولكل وصف من هذه الأوصاف شاهد من كتاب الله تعالى، وهي صفة من صفات الله تعالى العلية، التي تليق بذاته، وهي أوسعُ من أن يحدها حَدٌّ أو يقيدها قيدٌ.

فالله سبحانه وَاسِعُ الْجَوَادِ، مُتَفَضِّلٌ عَلَى عِبَادِهِ بإنعامِهِ، وَغَنِيٌّ عَنْ أَعْمَالِهِمْ، كما قال تَعَالَى: {وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}.[٢]

وَهُوَ سبحانه وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ لَا يَتَعَاظَمُهُ ذَنْبٌ، وَهُوَ سبحانه وَاسِعُ الرحمة قال تَعَالَى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}.[٣]

وَهُوَ سبحانه وَاسِعُ العلم، {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ}.[٤]

وقالت الْمَلَائِكَةُ وهم يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينِ آمَنُوا: {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا}.[٥]

وهو سبحانه عَلِيمٌ بخلقه، عَلِيمٌ بِمَنْ يسعى منهم لمِرْضَاتِهِ، وعَلِيمٌ بِأَعْمَالِهِمْ، مَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْهَا شَيْءٌ، وَلَا يعْزُب عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١١٥

٢ – سورة البقرة: الآية/ ٢٦٨

٣ – سورة الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٥٦

٤ – سورة سَبَأٍ: الآية/ ٣

٥ – سورة غَافِرٍ: الآية/ ٧



تَدَبَر- ١٤٤

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ}.[١]

تأمل قوله تعالى: {سُبْحَانَهُ}، بعد حكاية كلام اليهود والنصارى، {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا}، لتعلم بشاعة قولهم، وشناعة منطقهم، وقبح اعتقادهم.

ولتعلم إجرامهم في حق الله تعالى، ومدى وقاحتهم، فإن هذا القول سبٌ لله تعالى صريحٌ، وشتمٌ قبيحٌ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ».[٢]

هل علمت الآن لماذا {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا}؟[٣]

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا}.[٤]

لذلك كَفَّرَهُم الله تعالى بقوله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}.[٥]

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١١٦

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: {اللَّهُ الصَّمَدُ} [الإخلاص: ٢] ، حديث رقم: ٤٩٧٤

٣ – سورة مَرْيَمَ: الآية/ ٩٠

٤ – سورة مَرْيَمَ: الآية/ ٨٨ – ٩١

٥ – سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآية/ ٣٠



وأوجب لهم النار بقوله: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.[١]

فاحمد الله على العافية من البلاء، واسأله الثبات على الدين حتى الممات.

---

١ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٧٣



تَدَبَر– ١٤٥

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ}.[١]

تأمل قوله تعالى: {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، بعد قوله حكاية عن المشركين: {اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا}، لتعلم أنه سبحانه غني عن اتخاذ الولد، لا حاجة له إلى ذلك.

فإنما يسعى ابن آدم في الدنيا للإنجاب؛ ليكون الولدُ عضدًا له في حياته، ولحاجته إليه عند كبره، وليحمل اسمه بعد موته، ويرثه بعد وفاته.

فالله سبحانه تعالى لا يشبه خلقه، ولا يشبهه أحدٌ من خلقه.

بل لله تعالى الكمال المطلق، والغنى المطلق.

كُلٌّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عبيدُهُ، والكل خلقُه.

وكيف يتخذُ ولدًا؟

وما حاجته إلى ذلك؟

{سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ}.

{وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ إلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}.[٢]

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١١٦

٢ – سورة مَرْيَمَ: الآية/ ٩٢– ٩٥



ولكنه الضلال الذي يجعلهم يقولون ما لا يعلمون، ويهرفون بما لا يعرفون، ويفترون على الله الكذب، فسوف يعلمون.

{قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}.[1]



١ - سورة يونس: الآية/ ٦٨



تَدَبَر- ١٤٦

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ}.[١]

القنوت هو الإذعان لله بالطاعة، والخضوع لعظمته، والخشوع لجلاله.

والعبد إما أن يذعن له طوعًا، وإما أن يذعن له كرهًا.

فالسعيد من امتثل أمره بالإيمان، وبادر بالطاعة والإذعان.

وأشقى الناس من أتبع نفسَهُ هَواهَا، وأسْلَمَ نفسَه للشيطان.

والكل يجري عليهم قدره، ولا يخرج أحدٌ منهم عن مشيئته.

فَمَنْ يَشَأْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ ***** وَمَنْ يَشَأْ أَضَلَّهُ بِعَدْلِهِ

فَمِنْهُمُ الشَّقِيُّ وَالسَّعِيدُ ***** وَذَا مُقَرَّبٌ وَذَا طَرِيدُ

فاحرص ان تكون ممن أسلم لله قياده، واستسلم لأمره، وسارع في رضوانه.

واحذر أن تكون الآخر، فيجري عليك قدره، ويحل عليك عذابه، وتبوء بسخطه.

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا نحصي ثناءًا عليك.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١١٦

تَدَبَر- ١٤٧

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.[١]

إياك أن تسيء الظن بربك عز وجل، مهما رأيت من ابتلاء، ومهما عاينت من ظلم وطغيان.

الله تعالى على كل شيء قدير، {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.[٢]

ولكن الكون يسير وفقَ سننٍ كونيةٍ محددةٍ، لحكمٍ إلاهية بالغةٍ.

هو سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

وكما خلق عيسى عليه السلام بكلمة كن؛ كما قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.[٣]

وهو قادرٌ سبحانه أن يبدلَ حزنك فرحًا، وضيقك فرجًا، وخوفك أمنًا، ولكن يبتلي عبده ليسمع دعاءَهُ، ويرى خوفَهُ ورجاءَهُ.

نعم قد يَبتَلِي العبدَ ليَسْتَخْرِجَ منه عباداتٍ يحبها، لولا الابتلاءُ ما فعلها العبدُ، منها: الدعاء، والرجاء، والخوف، والإنابة، والتسليم لأمره، والرضى بقضائه.

اللهم اجعل كل قضاء قضيته لنا خيرًا.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١١٧

٢ - سورة يس: الآية/ ٨٢

٣ - سورة آل عمران: الآية/ ٥٩



تَدَبَر- ١٤٨

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ}.[١]

ليس هناك مثل الجاهل في جرأته على الله تعالى وعلى دينه.

ولو كان عنده شيء من العلم لعصمه الله تعالى به.

فإذا رأيت من يتجرأُ على اللهِ تعالى، ويتطاولُ على دينِهِ، وينالُ من شريعَتِهِ، فاعلمْ أنه جاهلٌ.

بل هو غَارقٌ في الجهلِ، قد مُلئَ جَهْلًا إِلَى مُشَاشِهِ.

وهل أدلَ على ذلك من سؤالِهِ رؤيةَ الله تعالى، أو تكليمَ الله تعالى له، أو إنزالَ ملكٍ من الملائكة ليؤمنَ بالله، ويتبعَ الرسولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، ومن دعاء لا يستجاب له.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١١٨

تَدَبَر- ١٤٩

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ}.[١]

ما من معصيةٍ تُفْعَلُ عظمت أو دقت، وما من ذنبٍ ارتكبَ كَبُرَ أو صَغُرَ، إلا وللناس فيه سلف.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ».[٢]

وما شأن أهل الضلال اليوم إلا كشأنهم بالأمس، الشبه هي هي لم تتغير، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ}.[٣]

والعقول كالعقول، والقلوب كالقلوب؛ {تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ}.

لذلك لا تتغير فيهم سُنَّةُ اللَّهِ تعالى بالعذاب الدنيوي قبل الأخروي، {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا}.[٤]

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١١٨

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حديث رقم: ٣٤٥٦، ومسلم- كتاب الْعِلْمِ، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، حديث رقم: ٢٦٦٩

٣ - سورة الذَّارِيَاتِ: الآية/ ٥٢، ٥٣

٤ - سورة الْأَحْزَابِ: الآية/ ٦٢



تَدَبَر- ١٥٠

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}.[١]

لا ينتفع بالآيات – مهما كانت ظاهرة جليةً – إلا من تجرد لطلب الحق، وسعى في سبيل الهدى سعيًا حثيثًا.

أما مَنْ مَلأَ الشكُ نفوسَهم، وارتابت في الحقِ الواضحِ قلوبُهم، فلا يؤمنون ولو تَنَزَّلَتْ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وسِيقَتْ إليهم الدلائلُ والآياتُ سَوقًا.

قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ}.[٢]

والشَّكُ إذا فُوقَتْ سِهَامُهُ للقلبِ أطفأت نورَهُ، وأَعْمَت بصيرَتَه، وقتلته شَرَّ قِتلَةٍ.

وأنَّى لمثلِ هذا أن يُؤمنَ؟

وأَنَّى له أن يَرَى الآياتِ وهو أعمى لا يبصرُ، أصم لا يسمع؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ}.[٣]

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١١٨

٢ – سورة الْأَنْعَامِ: الآية/ ١١١

٣ – سورة يُونُسَ: الآية/ ٩٦، ٩٧

تَدَبَر- ١٥١

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ}.[١]

تأمل قوله تَعَالَى: {وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ}، بعد قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}؛ لتعلم مبدأً عظيمًا من مبادئ الإسلام، وهو (لايؤاخذ أحد بجريرة غيره).

فلا يُسْأَلُ رَسُولٌ عَنْ كُفْرِ مَنْ كَفَرَ، وضَلَالِ مَنْ ضَلَّ، وهلاكِ من هَلَكَ، من أمته.

ولا يُسْأَلُ أحدٌ عن جرمِ أحدٍ، ولا يحاسبُ عن ذنبٍ اقترفه غيرُه.

كما قَالَ تَعَالَى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}.[٢]

تأمل هذا وانظر إلى اعتقاد النصارى الذي احدثوه، أن خطيئة آدم حين أكل من الشجرة أصابت ذريته، وسوف يحاسبُ الجميعُ عليها.

وانظر كذلك إلى اعتقاد اليهود، أن كل من يولدُ منهم له نصيب من اللعنة التي أصابت آباءهم الأولين.

تأمل هذا ثم أحمد الله تعالى على نعمة الإسلام.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١١٩

٢ - سورة الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٦٤

تَدَبَر- ١٥٢

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ}.[١]

تأمل قوله تَعَالَى: {وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ}؛ لتعلم أن الهداية بيد الله وحد، لا يملكها غيره، فلا يملكها ملكٌ مقربٌ، ولا نبيٌ مرسلٌ، ولا حبيبٌ لحبيبِهِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى لسيد ولد آدم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}.[٢]

وَقَالَ تَعَالَى: {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ}.[٣]

وَقَالَ تَعَالَى: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}.[٤]

فارفق بنفسك إذا استفرغت وسعك في دعوة أحدٍ إلى الله تعالى، ولم يستجب لك، فإنما هِي آجَالٌ مَضْرُوبَةٌ، وَآثَارٌ مَوْطُوءَةٌ، وَأَرْزَاقٌ مَقْسُومَةٌ، وأَقْدَارٌ سَابِقَةٌ، والهدايةُ مِنَ اللهِ تعالى.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١١٩

٢ - سورة الْقِصَصِ: الآية/ ٥٦

٣ - سورة الرَّعْدِ: الآية/ ٤٠

٤ - سورة الْبَقَرَة: الآية/٢٧٢

تَدَبَر- ١٥٣

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ}.[١]

قَرَأَ نَافِعٌ وَيَعْقُوبُ الْحَضْرَمِيُّ: {وَلَا تَسْأَلْ} عَلَى النَّهْيِ.

وهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ فَظَاعَةِ أَحْوَالِ الْمُشْرِكِينَ، وسوءِ مآلِ الْكَافِرِينَ، وفَظَاعَةِ عذابهم في نارِ الْجَحِيمِ، وأنه أمر لا يُتخيلُ.

وأن ما يحدث لهم في الْجَحِيمِ أمرٌ لَا يُدرِكُ الْعَقْلُ كُنْهَهُ لفَظَاعَتِهِ، ولا يَبْلُغُ التصورُ مدَاهُ لشَنَاعَتِهِ، وبشاعتِهِ.

وهذا الأسلوبُ أبلغُ أسلوبٍ للردعِ عن الكفرِ والشركِ، لو صادفَ قلوبًا حيةً، وآذانًا واعيةً.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}.[٢]

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١١٩

٢ - سُورَةُ ق: الآية/ ٣٧



تَدَبَر- ١٥٤

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}.[١]

هذا حكم الله تعالى عليهم بأنهم لا يرضهم إلا أن ينسلخ المسلم من دينه.

فإذا رأيتهم قد رضوا عن أحدهم فاعلم أن شرطهم فيه قد تحقق.

فياحسرة على العباد، كم منهم من يسعي لنيل رضاهم؟

وكم منهم من يسارع في إرضائهم؟

وكم منهم من يبالغ في إرضائهم؟

اللهم إنا نسألك الثبات على دينك حتى نلقاك؟

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٢٠

تَدَبَر- ١٥٥

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}.[١]

آية ترتعد منها الفرائص، وترتجف من وقعها القلوب، وتقشعر لجلالها الأبدان.

هي خطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو معصومٌ، لا يتطرق الشكُ إلى قلبِهِ.

فهي من الخاص الذي يراد به العموم.

فليس على رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خوفٌ مِنَ اتباع مِلَّةِ الْيَهُودِ وَلَا النَّصَارَى.

إنما الخوفُ علينا نحن.

اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ.

تَدَبَر- ١٥٦

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى}.[٢]

هذه حجة الله تعالى يلقنها عباده المؤمنين، عَلَّمها اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ، وتلقاها المؤمنون من بعدهم، يُحَاجُونَ بِهَا أَهْلَ الضَّلَالَةِ.

فإذا أثاروا في وجهك الشبهات، ونثروا في طريقك بذور الشك؛ فلا تلن عزيمتك، ولا تهن، ولا تحزن.

وردد في ثبات: {إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى}.

رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٢٠

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٢٠



تَدَبَر- ١٥٧

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}.[1]

لا يوالي أعداء الله ويتبع أهواءهم، ويوافقهم على ضلالهم إلا مفتون في دينه، منهزم نفسيًا.

وإنما يفعل ذلك طلبًا لنصرتهم، وتعززًا بهم.

ومثل هذا مسكينٌ؛ لأنه كالمستجيرِ من الرمضاءِ بالنارِ.

فرَّ من الموتِ وفي الموتِ وقع.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا}.[2]

تنقلِبُ مودتُهُم بُغْضًا، ويستحيلُ التَّعَزُّزُ بهم ذُلًا، وهذه سنَّةٌ لله في خلقه لا تتخلف.

ومهما كان عند هؤلاء الذين اتَّبَعَ أَهْوَاءَهُمْ من القوةِ، والبطشِ والتمكينِ، فلن يغنوا عنه من الله شيئًا، بل هم جميعًا في قبضة الله تعالى، وتحت سلطانه، وعليه وعليهم يجري قدره.

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ}.[3]

وهل من الله مفر؟

وهل دونه ملجأ؟

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٢٠

٢ - سورة مَرْيَمَ: الآية/ ٨١، ٨٢

٣ - سُورَةُ الْجَاثِيَةِ: الآية/ ١٨، ١٩

تَدَبَر- ١٥٨

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ}.[١]

حال المسلم مع كتاب الله تعالى يختلف عن حاله مع أي كتاب، وشأنه مع كلامه تعالى يختلف عن شأنه مع أي كلام.

فإذا قرأ المسلم كتاب ربه وجب عليه أن يعلم أنه المخاطب بكل ما فيه، فيأتمر بأوامره، ويرتدع بزواجره، ويتعظ بوعظه، ويعقل أمثاله، ويفهم عن الله تعالى مراده.

يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويعمل بمحكمه، ويؤمن بمتشابهه.

فلا يلقيه هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، ولا يقرؤه كقراءة الصحف.

فعَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي لَأَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ».[٢]

إذا مر بآية رحمة سأل الله تعالى من فضله، وإذا مر بآية عذاب استعاذ بالله تعالى من سخطه.

إذا قرئ القرآنُ استمع وانصت.

وحال المؤمن مع كلام الله تعالى، أن يخشع القلب لجلاله، ويقشعر جلده لعظيم خطابه، ثم يلين جلده وقلبه للذيذ خطابه، وسمو بيانه؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {اللَّهُ نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٢١

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ الجَمْعِ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ فِي الرَّكْعَةِ، حديث رقم: ٧٧٥، ومسلم- كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ تَرْتِيلِ الْقِرَاءَةِ، وَاجْتِنَابِ الْهَذِّ، وَهُوَ الْإِفْرَاطُ فِي السُّرْعَةِ، وَإِبَاحَةِ سُورَتَيْنِ فَأَكْثَرَ فِي رَكْعَةٍ، حديث رقم: ٨٢٢



مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}.[1]

أولئك الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهِ حقًا، ويتبعونه حق اتباعه.

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك.

---

١ – سورة الزُّمَرِ: الآية/ ٢٣

تَدَبَر- ١٥٩

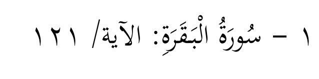
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}.[١]

تأمل كيف جعل الله تعالى للإيمان بالكتاب علامةً ظاهرةً، وهي: {يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ}، وجعل مقابل هؤلاء الذين {يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ}، المشهودِ لهم بالإيمان، كفارًا، {مَنْ يَكْفُرْ بِهِ}.

وَالتِّلَاوَةُ لَهَا مَعْنَيَانِ: الْقِرَاءَةُ لَفْظًا، وَالِاتِّبَاعُ فِعْلًا، فهي إقامةُ الحروفِ، والحدودِ.

فمن كان هاجرًا لكِتَابِ اللهِ تَعَالَى تِلَاوَةً، وَاتِّبَاعًا، فَمَا يُؤَمِّنُهُ أَنْ يَكونَ مِمَّنْ ذَمَّهُمُ اللهُ تعالى بقوله: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}.

وهل هناك خسرانًا أعظم من الإعراض عن كتاب الله تعالى.



١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٢١



تَدَبَّر – ١٦٠

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ}.[١]

أقبح الناس حالا من ينسى الإحسان على قرب عهده به، ويُذَكَّرُ به فلا يتذكر، وأقبح منه من يجحد الإحسان وهو يتقلب فيه ليل نهار، ويُقَرَّرُ به فلا يُقِرُّ، وهذا إذا كان الإحسان من بشر، وإذا كان المعروفُ من مخلوق، وهو مهما أحسن إليك موصوف بالعجز والتقصير، والضعف والتقتير.

فكيف إذا كان الإحسان من الله تعالى، وهو أكرم الأكرمين، كيف يُنْسَى إحسانُهُ، وهو متتابعٌ تتابعَ المطر، وكيف يغفل عنه وهو مع كل نفس نتنفسه.

وكيف يُجْحَدُ فضلهُ وهو أظهر من الشمس في رابعة النهار، {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}.[٢]

لكنها سمة الإنسان، وصفته القبيحة، وكم في الإنسان من صفات قبيحة: {إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}.[٣]

فهو لِنِعَمِ رَبِّهِ جَحُودٌ كَفُورٌ.

فاحذر أن تكون كهذا الذي قيل له: {وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي}.[٤]

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٢٢

٢ – سورة لقمان: الآية/ ٢٠

٣ – سورة العاديات: الآية/ ٦

٤ – سُورَةُ الْقَصَصِ: الآية/ ٧٦-٧٨



أو هذا الذي قيل له: «أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ».[1]

اللهم اجعلنا شاكرين لنعمك، مثنين بها عليك قابليها.

١ – رواه البخاري– كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حديث رقم: ٣٤٦٤ ، ومسلم– كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، حديث رقم: ٢٩٦٤



تَدَبَر - ١٦١

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا}.[١]

ستقفُ يومًا وحيدًا، منفردًا عن الناس جميعًا، تحمل أوزارك، تحمل أثقالك، تتبعك عثراتك، تحيط بك سيئاتك، تنظر إلى أقرب الناس لعله يُجْدِي عنك نفعًا، لعله ينفعك بنافعة، لعله يُغْنِي عنك غناءً، فإذا هو أحرصُ الناس على البعد عنك، {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا}.[٢]

وإذا هو أشدُ الناس فرارًا منك، {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}.[٣]

وكيف يملك لك نفعًا، وكيف يغني عنك شيئًا، وأنت لا تملك لنفسك التي بين جنبيك نفعًا ولا ضرًا، {يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ}.[٤]

نعم لا تملك لنفسك شيئًا أبدًا، ها أنت تقف عاريًا، ولا تملك أن تسترَ سوأتك، ها أنت تقفُ حافيًا، ها أنت تقفُ حاسرًا، بل أنت لا تتكلم إلا بإذنٍ؛ {يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ}.[٥]

ولا ترفع رأسك إلا بأمر؛ {خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ}.[٦]

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٢٣

٢ - سُورَةُ النحل: الآية/ ١١١

٣ - سُورَةُ عبس: الآيات/ ٣٤- ٣٧

٤ - سُورَةُ الانفطار: الآية/ ١٩

٥ - سُورَةُ هود: الآية/ ١٠٥

٦ - سُورَةُ المعارج: الآية/ ٤٤

تبحث عن مغيث فلا مغيث، وتبحث عن مجير فلا مجير، وتبحث عمن يشفع لك فلا شفيع، بل ولا صديق يرق لحالك؛ وهل يشفع أحد بغير إذن الملك؟ {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ}.[١]

ألا يدعوك هذا لتعمل لهذا اليوم؟

عَنْ عَدِىِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».[٢]

اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك.

---

١ – سُورَةُ البقرة: الآية/ ٢٥٥

٢ – رواه البخاري- كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ كَلاَمِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، حديث رقم: ٧٥١٢، ومسلم- كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ، حديث رقم: ١٠١٦



تَدَبَر – ١٦٢

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا}.[١]

قد يبتليك الله ليرفعَ مكانتك، ويُعْلِيَ قَدْرَك، ويَنْشُرَ بين الناسِ فضلَكَ، ويَرْفَعَ في العالمين ذِكْرَكَ، إذا كنت عند السراءِ شاكرًا، وعند الضراءِ صابرًا، إذا وقفت عند حدوده، وامتثلت أوامره، واجتنبت نواهيه.

هو ابتلاء سيمرُ به الجميعُ حتمًا، وسيتعرض له الكلُ يقينًا، لا شك في هذا ولا امتراء.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ}.[٢]

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}.[٣]

هذا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام ابتُلِيَ بصنوفٍ من الابتلاءِ، أسكن أهله بواد غير ذي زرع بأمر ربه، وجادل قومه في الله، وأعلن التوحيد حين ماجت الأرض بالشرك حتى أُلقي في النار، وأُمر بذبح ولدِهِ فامتثل وصبرَ، وما وهنت عزيمته، ولا ضعفت قواه، وما توانى في أمر الله، وقام في وجه أشد أهل الأرض عتوًا، النمرود الذي ادعى الربوبية، وَقَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ، فناظره حتى بهت الذي كفر، وبان للناس كذبه، وظهر للناس عجزه.

فلما صبر على الابتلاء، وقامِ بكَلِمَاتِ رَبِّهِ حق القيامِ حتى أَتَمَّهُنَّ، كان جزاؤه البشرى من الله تعالى: {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا}، واتخذه ربه خليلًا.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٢٤

٢ – سُورَةُ العنكبوت: الآية/ ٢

٣ – سُورَةُ مُحَمَّدٍ: الآية/ ٣١



سُئِلَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَيُّمَا أَفْضَلُ لِلرَّجُلِ، أَنْ يُمَكَّنَ أَوْ يُبْتَلَى؟ فَقَالَ: لَا يُمَكَّنُ حَتَّى يُبْتَلَى، فَإِن الله ابْتُلِيَ نوحًا وَإِبْرَاهِيم ومُوسَى وَعِيسَى ومحمدا صلوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ، فَلَمَّا صَبَرُوا مَكَّنَهُمْ.[1]

وهذا الإمام أحمد بن حنبل عُرِضَ على السيفِ، وضرب ضربًا شديدًا وهو في الثمانين من عمره، فثبت على الحق، وصبر على الأذى، فكان إمامًا لأهل السنة والجماعة.

{رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}.

١ – جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ٢٥٤)



تَدَبَر – ١٦٣

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}.[1]

من قبح الظلم، ومن سوء عاقبة الظالمين، أنهم لَا يَنَالُهم عَهْدُ الله تعالى، وليس لهم أمانٌ من عذابه، فهم في خوف دائم من أن يحل بهم عقاب الله تعالى في الدنيا، مع ما ينتظرهم من بشاعةِ المنقلبِ، وسُوءِ المصير.

فلا يستريحون ممَا تُثِيرُهُ الهواجسُ مِنْ كَوَامِنَ الرُّعْبِ في نفوسِهِمُ، جزاء ما فعلوه بعباد الله، والجزاء من جنس العمل، مهما احتاطوا لأنفسهم، ومهما بالغوا في التترس بحرسهم، واختبأوا في حصونهم.

وهل من عقاب الله تعالى مفرٌّ؟

وهل لأحد منه مهربٌ؟

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ البَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ».[2]

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٢٤

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٠٣٧٤، وأبو داود– كِتَاب الْأَدَبِ، بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنِ البَغْيِ، حديث رقم: ٤٩٠٢، والترمذي– أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٥١١، وابن ماجه– كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الْبَغْيِ، حديث رقم: ٤٢١١، بسند صحيح

هي سنةٌ كونيةٌ لا تتخلفُ، ووعدٌ صادقٌ لا محالةَ سيتحققُ، لذلك لا تتعجلْ هلاكَ الظالمِ، لكن ترقبْ أخذَهُ، وانتظر عَذَابَهُ، ولا تظنن أنه بمنأى من العذاب، أو أن الله عنه غافل، إنما هو استدراج الله له؛ «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ».[1]

فإذا كان يوم القيامة، أكل الظالم يديه ندمًا، ولكن حين لا ينفع الندم، واعتذر ولكن لا يُسمعُ له، ولا يُقبلُ له عذرٌ: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}.[2]

يَوَدُّ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمَئِذٍ بِأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، لَوْ وَجَدَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، ولكن هيهات لا يُقْبَلُ يَوْمَئِذٍ فداءٌ؛ {وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ}.[3]

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٢] ، حديث رقم: ٤٦٨٦، ومسلم– كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٢٥٨٣، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢ – سُورَةُ غافر: الآية/ ٥٣

٣ – سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: الآية/ ٤٢



تَدَبَر- ١٦٤

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا}.[١]

فيضٌ غامرٌ من السكينةِ، وظلٌ وارفٌ من الطمأنينةِ، وسُحُبٌ وابلةٌ من الرحمةِ، يشعرُ بها من دخلَ البيتَ الحرامَ، ويعيش في كنفها من جلسَ يذكرُ اللهَ في جَنَبَاتِهِ، ويرتعُ في رياضها من قامَ يصلى في أفنائِهِ.

ولم لا؟

وهو جنةُ اللهِ في الأرضِ، ومهوى أفئدةِ المؤمنين، وبه تعلقت قلوبُ الصالحين، فلا يدخله منهم أحدٌ إلا وقد انشرحَ صدرُهُ، وانقشعَ همُهُ، وزالت كآبَتُه، واطمأنت نفسُهُ، وكأنَ يدًا حانيةً تداوي جراحَهُ، وتمسحُ أحزانَهُ، يأمنُ فيه على نفسهِ أكثرَ من أمنهِ عليها في مخدعِهِ، ليس فيه خوفٌ ولا أحزانٌ، وأَنَّى يأتيه الخوفُ، ومن أين تأتيه الأحزانُ، وهو بيتِ اللهِ، وفي ضيافةِ الكريمِ الرحمنِ، فلا عجبَ أَنْ تتعلقَ به القلوبُ، وتتشوفُ لزيارتِهِ النفوسُ، أليست تلك دعوةُ الخليلِ؟

{فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ}.[٢]

فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ إِلَّا وَهُوَ يَحِنُّ إِلَى رُؤْيَةِ الْكَعْبَةِ وَالطَّوَافِ بِهَا، فَالنَّاسُ يَقْصِدُونَهَا مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ وَالْأَقْطَارِ.

حتى رأينا من يدخرُ من قُوتِهِ على فقرهِ أربعين سنةً ليحجَ إلى بيتِ اللهِ.

وَيُسْأَلُ أَحَدُهُم – وقد عَضَّهُ الفقرُ بِنَابهِ، وصَبَّ عليه البؤسُ سوطَ عذابهِ – ما هي أعظمُ أمنيةٍ عندك؟

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٢٥

٢ – سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: الآية/ ٣٧



فيقول أَنْ أَحجَ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ.

ما تمنى مالًا، ولَا اشْتَهَى ضِيَاعًا، ولَا أرادَ عَقَارًا - على فَاقَتِهِ، وشدةِ حَاجَتِهِ-.

فَلاَ عجبَ أن ترى العينَ عِنْدَ ودَاعِهِ هَامِلَةً، والنفسَ عِنْدَ فِرَاقِهِ مُنْكَسِرَةً، والألسُنَ تلهجُ بألا يكوَن آخرَ العهدِ بِهِ.

اللهم اشتاقت قلوبنا إلى بيتك فلا تحرمنا زيارته.



تَدَبَر - ١٦٥

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى}.[١]

قد تقوم لله تعالى مقامًا يرى الله تعالى فيه صدقكَ، ويعلم منه إخلاصك، فيكتب الله تعالى لك به السعادة في الدارين، في الدنيا ينشر الله تعالى في العالمين ذكرك، ولا تُذْكَرُ إلا مشفوعًا بالرحمات، والدعوات، وحسن الثناء عليك، ويكتب الله تعالى لك به رضوانه إلى يوم تلقاه.

هذا خليل الرحمن إبراهيمُ عليه السلام، قام لله تعالى يبني له بيتًا، وقد ماجت الأرض بالشرك، وضرب الباطل فيها أطنابه، وعم الشر في أنحائها، وانتشر الجهل في أرجائها، فقام إبراهيم عليه السلام، يمزق أطمارَ الجهلِ، ويكشف أستارَ الباطلِ، ويحطمُ رموزَ الشركِ، ويمحو آياتِ الشرِ، وما لانت له عزيمةٌ، ولا فترت له همةٌ، ولا ضعفت له قوةٌ، فناظر هذا حتى قطعَهُ، وجادلَ أولئك حتى أفلجَ حجتَهُم، وقامَ أمامَ جحافلِ الشرك وحده، يعلن توحيده، واعتصامه بدينه، وثقته بربه، ثم بنى للهِ تعالى بيتًا فأتمَ بنائه، وأعلى أركَانَه، وطَهَّرَهُ للطائفينَ، وهَيَّأَهُ للرُكعِ الساجدينَ، ومَا ثَمَّ رُكعٌ ولا سُجُودٌ، ولا مَنْ يطوفُ بالبيتِ سواه وأهله، ثم أَذَّنَ في الناسِ بالحجِ.

ثم مضى لربه راضيًا مرضيًا، فَخَلَّدَ اللهُ تعالى في العالمين ذِكْرَهُ، وأعلى بين الأنامِ شَأْنَهُ، فجَعَلَ مَوْطِئَ قَدَمَيْهِ مُبَارَكًا، وأمرَ المؤمنين باتخاذِهِ مُصَلًّى، يتقربون لله تعالى عنده، ولا ينسون بركته وفضله، وأنى لمثل إبراهيم عليه السلام أن يُنْسَى، وقد أجابَ اللهُ تعالى دعائه إذ قال: {وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ}.[٢]

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٢٥

٢ - سورة الشعراء: الآية/ ٨٤



واللِّسَانُ الصِّدْقُ: هُوَ الثَّنَاءُ الصَّالِحُ، وَالذِّكْرُ الحسنُ مِنَ النَّاسِ مِنْ جميعِ الْأُمَمِ، إلى قيام الساعة.

فكم من الخلق يلبون كل ساعة نداءه؟

وكم من الخلق يحيون كل ساعة آثاره؟

وكم من الخلق يلهجون كل ساعة بالصلاة وحسنِ الثَّنَاءِ عليه؟

اللهم استعملنا في طاعتك، ويسر لنا سبل مرضاتك.



تَدَبّر – ١٦٦

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}.[١]

للصلاة خصوصًا وللعبادة عمومًا منزلةٌ عظيمةٌ جدُ عظيمةٍ عند اللَّهِ تَعَالَى، وأثرٌ بالغٌ في سلوكِ العبدِ ومنهجِ حياته، وأثرٌ أبلغُ في آخرته، وعند وقوفه بين يدي ربه؛ لذلك أمر اللّهُ تعالى خليلَه إِبْرَاهِيمَ، ونبيَه الكريمَ إِسْمَاعِيلَ عليهما السلام أن يطهرا البيتَ العتيقَ، لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ والْمُصَلِّينَ، إيذانًا بشرف تلك العبادات، وتنويهًا بفضل أولئك العباد.

أما منزلة الصلاة عند الله تعالى فهي أحب الأعمال إلى الله تعالى؛ فعن عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا».[٢]

وأما أثرها في سلوك العبد ومنهج حياته فإِنَّهَا تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، قَالَ تَعَالَى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}.[٣]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ قَالَ: «إِنَّهُ سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ».[٤]

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٢٥

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ الصَّلَاةِ لِوَقْتِهَا، حديث رقم: ٥٢٧، ومسلم– كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَى أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ، حديث رقم: ٨٥

٣ – سورة الْعَنْكَبُوتِ: الْآيَةَ/ ٤٥

٤ – رواه أحمد– حديث رقم: ٩٧٧٧، بسند صحيح

وأما أثرها في آخرته، وعند وقوفه بين يدي ربه، فهي المحك الذي تُقْبَلُ على أساسِهِ الأعمالُ أو تُرَدُّ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلَاتِهِ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ».[1]

فانظر في صلاتك، أتليق بربك؟

أتنهاك عن منكرٍ؟

هل ستنجو بها غدًا؟

{رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ}.

١ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ الصَّلَاةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ الصَّلَاةُ، حديث رقم: ٤١٣، والنسائي– كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ الْمُحَاسَبَةِ عَلَى الصَّلَاةِ، حديث رقم: ٤٦٥، بسند صحيح



تَدَبَر – ١٦٧

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا.......}.[١]

من أَجَلِّ نعمِ اللهِ تعالى على العبادِ نعمةُ الأمنِ، وبغير الأمنِ لا يَهْنَأُ الإنسانُ بطعامٍ ولا شرابٍ ولا نومٍ، وبغير الأمن لا يجدُ الإنسانُ للحياةِ طعمٌ، ونعمةُ الأمنِ واحدةٌ من نعمٍ ثلاثٍ بها قوامُ الحياةِ، وبها تكتملُ كلُ لذةٍ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ طَعَامُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا».[٢]

ونعمة الأمن أعظمُ مظهرٍ لرغدِ العيشِ، لذا امتنَّ اللهُ تعالى بها على أهل مكةَ فقال: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ}.[٣]

وَقَالَ تَعَالَى: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}.[٤]

وقدمها الخليل عليه السلام في سؤاله لربه سبحانه على طلبِ الرزقِ؛ لأن الحاجة إلى الأمن أعظم من الحاجة إلى الطعام والشراب فضلا عن غيرهما من ضرورات الحياة.

ولا يشعر بقيمة هذه النعمة إلا من فقدها، واسألوا أولئك الذين يتوقعون الموت كل لحظة، ولا يأمن الواحد منهم على عرضه وماله.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٢٦

٢ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٣٤٦، وابن ماجه– كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الْقَنَاعَةِ، حديث رقم: ٤١٤١، والبخاري في الأدب المفرد– بَابُ مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، حديث رقم: ٣٠٠، بسند حسن

٣ – سورة الْعَنْكَبُوتِ: الآية/ ٦٧

٤ – سورة قُرَيْشٍ: الآية/ ٣، ٤

وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أبدًا يُرَوِّعَ مُسْلِمًا، ولو على سبيلِ المزاحِ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا».[١]

اللهم اجعلنا بلادنا آمنة مطمئنة، وسائر بلاد المسلمين.

١ - رواه أبو داود- كِتَاب الْأَدَبِ، بَابُ مَنْ يَأْخُذُ الشَّيْءَ عَلَى الْمِزَاحِ، حديث رقم: ٥٠٠٤، والترمذي- أَبْوَابُ الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا، حديث رقم: ٢١٦٠، بسند صحيح

تَدَبَر – ١٦٨

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}.[١]

تأمل قوله تعالى: {وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا}، لتعلم أن رغد العيش وسعة الرزق ليس دليلًا على محبة الله تعالى للعبد، وليس ضيق الرزق وشظف العيش دليلًا على بغض الله تعالى للعبد، بل ليست الدنيا وما فيها دليلا على هذا أو ذاك، وكيف تكون الدنيا مقياسًا لحب الله إذا حازها إنسان، أو بغض الله للعبد إذا حرمها وهي لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

ولكن إذا وسع الله تعالى عليك في الرزق، وأنت سادرٌ في معصيته، مقيمٌ على ما يسخطه، فاحذر أن يكون ذلك اسْتِدْرَاجٌ مِنْهُ تَعَالَى، عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ مَكْرِهِ؛ قال الله تعالى عن أقوامٍ نَسُوا أمرَهُ، وتنكبوا الطريق إليه، وارتكبوا ما نُهُوا عنه: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ}.[٢]

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ» ثُمَّ نَزَعَ بِهَذِهِ الْآيَةِ: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}.[٣]

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٢٦

٢ – سورة الْأَنْعَامِ: الآية/ ٤٤

٣ – رواه الطبراني في الكبير– حديث رقم: ٩١٣، والأوسط– حديث رقم: ٩٢٧٢، بسند حسن

تَدَبَر - ١٦٩

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.[١]

لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون بين أمرين:

بين خوفٍ لا يفارقُهُ وإن كان أعبدَ الناسِ، ورجاءٍ لا يُزَايِلُهُ وإن كان أكثرَ الناسِ إِسْرَافًا على نفسِهِ.

وكما لا يطير الطائرُ إلا بجناحين، لا يتحقق الإيمانُ إلا بالخوفِ والرجاءِ معًا، فهما للمؤمنِ كالجناحين للطائرِ، فإذا غلبَ أحدُهما على الآخرِ هَلَكَ صَاحِبُهُ.

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟» قَالَ: أَرْجُو اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ».[٢]

فمن غلب عليه الخوف هَلَكَ باليأسِ من رحمةِ اللهِ تعالى، وسوءِ ظنه بالله تعالى.

ومن غلب عليه الرجاء هَلَكَ بالتفريطِ في حقِ اللهِ تعالى، والاغترارِ بسعةِ رحمةِ الله تعالى.

هذا خليلُ الرحمنِ إِبْرَاهِيمُ وَنَبِيُّ الله إِسْمَاعِيلُ عليهما السلام، يَرْفَعَان الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، ويبنيان أولَ بيتِ للهِ في الأرض، في عبادةِ مِنْ أجلِّ العباداتِ، وفي طاعةِ هي مِنْ أعظمِ القرباتِ،

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٢٧

٢ - رواه الترمذي- أَبْوَابُ الْجَنَائِزِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٩٨٣، وابن ماجه- كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالِاسْتِعْدَادِ لَهُ، حديث رقم: ٤٢٦١، بسند حسن



ويسألان اللهَ تعالى القبولَ، ما دخلَ نفوسَهم شيءٌ مِنْ العُجْبِ، وهكذا يجب أن يكونَ شأنُ مَنْ عَرَفَ ربَه، وأنه مصدرُ كلِ نعمةٍ، وسببُ كلِ فضلٍ.

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}. [المؤمنون: ٦٠] أَهُوَ الَّذِي يَزْنِي، وَيَسْرِقُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: «لَا، يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَوْ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ».[١]

فهمها كنت في طاعة، فاحذر أن يداخلك عُجْبٌ، أو يخالط نَفْسَكَ خيلاءُ، واحذر أن تُدِلَ بعملك، فبتوفيقه فعلت ما فعلت، وبرحمته وصلت إلى ما وصلت، ولولاه لما كنت.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

---

١ – رواه أحمد حديث رقم: ٢٥٧٠٥، والترمذي– أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ، حديث رقم: ٣١٧٥، وابن ماجه– كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ التَّوَقِّي عَلَى الْعَمَلِ، حديث رقم: ٤١٩٨، بسند صحيح

تَدَبَر – ١٧٠

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ}.[١]

الإسلام منحة ربانية، ونعمة امتن الله تعالى بها عليك، بفضله اجتباك، وبرحمته اصطفاك، وبلطفه هداك.

ألم تسمع إلى قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ}.[٢]

كم ممن يُشار إليه بالبنان، ويُنْظَرُ إليه نظرةَ إكبارٍ وإعظامٍ، ويُعْدُ في جملةِ الأذكياءِ، ويُحْسَبُ في عِدَادِ النُبَهَاءِ، يَسْجُدُ لحَجَرٍ، ويرجو الخيرَ من بَقَرٍ، ويخشى الضرَ من صَنَمٍ، ويدعو متضرعًا وَثَنًا.

ما نفعه ذكَاؤُه، وما هداه للإسلامِ عقلُهُ، وما نفعته فطنتُهُ.

لأن الأمرَ ليس أمرَ فطنةٍ، ولا أمرَ ذكاءٍ، ولكنه محضُ رحمةٍ واصطفاءٍ.

أترى بعد هذا في الخلقِ من هو أعظمُ منك حَظًّا؟

أترى بين الناسِ من هو أوفرُ منك نصيبًا؟

أترى من هو أسعدُ منك حالًا؟

كيف؟ وأنت ممن اصطفاهم الله واختارهم لدينه.

فسل الله أن يديم عليك الهدى، وأن يتوفاك على الإسلام.

اللهم اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . وَاجْعَلْنَا لَكَ مُسْلِمِيْنِ . وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٢٨

٢ – سورة الأَنْعَامِ: الآية/ ١٢٥



تَدَبَر - ١٧١

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ}.[١]

التزكية من المقاصد العظيمة للشريعة الإسلامية، ولها سببان لا تتحقق إلا بهما؛ العلم والعمل، فبالعلم يبرأ العبد من وصمة الجهل، ويعبد الله تعالى على بصيرة، ويعرف محبوبات الله ومساخطه.

وبالعبادة ينتظم في سلك الصالحين، ويشكر الله تعالى على آلائه ونعمه، ويحقق الغاية من خلقه.

وتأمل كيف جمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين العلم والعمل في قوله: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».[٢]

وتأمل كيف جعلهما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مناط الخيرية.

وتأمل كيف جمعهما كذلك في قوله: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».[٣]

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٢٩

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابٌ: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، حديث رقم: ٥٠٢٧

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ، حديث رقم: ٧٩، ومسلم- كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ بَيَانِ مَثَلِ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، حديث رقم: ٢٢٨٢



وإذا تخلف سببٌ من هذين السببين – العلم و العمل– كان العبد على شفا هلكة، فما عُصِيَ اللهُ إلا بالجهل، وما ابتدعَ مبتدعٌ إلا بالجهل، وإذا لم يكن للعبد حظٌ من العبادةِ لم ينفعه علمُهُ.

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: مَنْ فَسَدَ مِنْ عُلَمَائِنَا كَانَ فِيهِ شَبَهٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَمَنْ فَسَدَ مِنْ عُبَّادنا كَانَ فِيهِ شَبَهٌ مِنَ النَّصَارَى.[1]

وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ السَّلَفِ: احْذَرُوا فِتْنَةَ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ وَالْعَابِدِ الْجَاهِلِ فَإِنَّ فِتْنَتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ.[2]

فاحرص أن يكون لك حظٌ من العلم يعصمك الله تعالى به من الضلال، وورِدٌ من العبادة يحفظك الله تعالى به من سخطه.

اللهم اجعلنا هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلين.

---

١ – مجموع الفتاوى (١/ ١٩٧)

٢ – المصدر السابق (١/ ١٩٧)



تَدَبَر – ١٧٢

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ}.[١]

بقدر القرب من الدينِ، وامتثالِ أوامرِ الشرعِ يكونُ الرُشْدُ، العَقْلُ، والكَمَالُ.

وبقدر البعد عن الدينِ، والتحللِ مِنْ أحكامِ الشرعِ، يكونُ السَّفَهُ، والطيشُ، والنَّقصُ.

والناس على الجانبين مُقِلٌ ومُسْتَكْثِرٌ.

فأكثرهم حلمًا، وأرجحهم عقلًا، وأوفرهم أدبًا؛ أكثرهم تدينًا.

وأشدهم طيشًا، وأكثرهم سفهًا، وأقلهم أدبًا، أقلهم تدينًا.

ألم تسمع إلى ما حكاه اللَّهُ تَعَالَى عنهم؟

ألم تسمع إلى ما قالوه هم عن أنفسهم؟

{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}.[٢]

فليسموا أنفسهم بعد ذلك ما شاؤوا : علمانيين ، لبراليين، عقلانيين، تقدميين، مدنيين! هذا حكمُ اللَّهِ تَعَالَى عليهم.

اللهم حبب إلينا الإِيمَانَ وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٣٠

٢ – سُورَةُ الْمُلْكِ: الآية/ ١٠

تَدَبّر – ١٧٣

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}.[١]

فِي الْآخِرَةِ موازيين، ولِلْآخِرَةِ مقاييس، ولأصحابها صفاتٌ من اتصفَ بها فاز بسكنى الجنان، يجمع هذه الصفاتِ أن تكون مِنَ الصَّالِحِينَ.

أما كون العبد من الصالحين أم لا، فهو أمر له ضوابط، وله معايير في دين الله تعالى، وليس الصلاح لقبًا يخلعه أحدٌ على أحدٍ، أو ادعاءً يدعيه من شاءَ من العباد لنفسه.

ألم تسمع إلى ما قَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟

وسجل القرآن ما قالوه: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ}.[٢]

وهم في حقيقة الأمر ملعونون.

قَالَ تَعَالَى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}.[٣]

إذن للصلاح معايير أخرى، ومقاييس مختلفة، والواجب على العاقل أن يعلمها تمام العلم، ويسعى بما يستطيعه من جُهدٍ لتحقيقها قبل أن يفجأَهُ الموتُ.

فإنه لا يدخل أحدٌ الجنةَ إلا بتحقيقها.

أولها الإيمان: فَلا يدخل الجنة إلا من كان مؤمنًا: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ».[١]

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٣٠

٢ – سورة الْمَائِدَةِ: الآية/ ١٨

٣ – سورة الْمَائِدَةِ: الآية/ ٧٨



ثانيها سلامة القلب: مِنَ الدَّنَسِ، وَالْبِدْعَةِ، وَالشِّرْكِ: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}.[2]

ثالثها حسن الخلق: فَلا يدخل الجنة، سيءُ الخُلُقِ، فاسدُ الطبعِ، عاقٌ، عتلٌ، جواظ، مستكبر: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ، وَلَا عَاقٌّ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ».[3]

وَ «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ».[4]

لذا اعرض نفسك على كتاب الله تعالى، وزن عملك اليوم قبل أن يوزن عليك غدًا، وحاسبْ نفسك قبل أن تُحَاسَب.

وابك في خلوتك قبل أن تبكي على رؤوس الأشهاد، واندم على ذنوبك، قبل أن تندم ولات حين مندم.

اللهم أصلح قلوبنا، وأخلاقنا، وأعمالنا، وسرنا، وعلانيتنا.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٥٩٤، والترمذي- أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٣٠٩٢، عَنْ زَيْدِ بْنِ أُثَيْعٍ رَجُلٍ مِنْ هَمْدَانَ، ورواه النسائي- كِتَابُ مَنَاسِكِ الْحَجِّ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ {خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف: ٣١]، حديث رقم: ٢٩٥٨، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، بسند صحيح

٢ - سورة الشعراء: الآية/ ٨٨، ٨٩

٣ - رواه أحمد- حديث رقم: ٦٥٣٧، والنسائي- كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ، الرِّوَايَةُ فِي الْمُدْمِنِينَ فِي الْخَمْرِ، حديث رقم: ٥٦٧٢، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بسند صحيح

٤ - رواه مسلم- كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ، حديث رقم: ٩١، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تَدَبّر – ١٧٤

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}.[١]

قَالَ لَهُ رَبُّهُ: أَسْلِمْ. قَالَ: أَسْلَمْتُ.

لا تردد، ولا تواني، ولا تفكير، ولا تريث، ولا تكاسل.

طاعة العبد لمولاه، وشأن المؤمن مع ربه.

شأن المسلم مع الله الطاعة المطلقة، والاستسلام لأمره.

لا يراه حيث نهاه، ولا يفتقده حيث أمره.

أما من ينتقي من أوامر الله تعالى ما يوافق هواه؟

ويترك ما لا يناسبه؟

فبينه وبين الإيمانِ بونًا شاسعًا، وبينه وبينَ الإسلامِ بابًا موصدًا.

{أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}.[٢]

خطابٌ لليهودِ ومن كان على شاكلتهم.

وأما من يطعن في أحكام الله تعالى، وَيَسِمُهَا بالتخلفِ، والرجعيةِ، والظلامِ، والظلمِ، فهو أسوأُ من اليهود حالًا، وأقبحُ منهم عند الله منزلًا ومآلًا.

لأنه يستحسن ما قبحه الله، ويقبح ما حسنه الله، بل يرى نفسه أحكم وأعدل من الله.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٣١

٢ – سورة الْبَقَرَةِ: الآية/ ٨٥



{أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ}.[1]

اللهم إنا نعوذ بك من مضلات الأهواء، وعثرات العقول، ومهاوي الفتن.

١ – سورة فَاطِرٍ: الآية/ ٨

تَدَبَر – ١٧٥

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}.[١]

إنه خطاب الله تعالى لإبراهيم عليه السلام، وكان يكفيه أن يقول: أَسْلَمْتُ. أو أَسْلَمْتُ لك يارب، أو أَسْلَمْتُ لله.

فما دلالة قوله أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؟

دلالة ذلك هي استعلاء المؤمن بإيمانه على سائر الخلق، وترفعُهُ عن كل باطل، لأنه يركن إلى ركن شديد، فلا يهوله انتفاش الباطل وسطوته، ولا تُخِيفُهُ صولةُ الكفرِ وشِدَتُه، لأن الكل عبيد أذلاء، {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا}.[٢]

وهذا هو الواجب على كل صاحب قلب مفعمٍ بالإيمان أن يستشعر العزة بانتسابه لرب العالمين لأنه العزيز وما سواه ذليل، لأنه القوي وما سواه ضعيف.

الْعِـــزُّ فِي كَنَـــفِ العزيـــزِ وَمَـــنْ ***** عَبَـــــدَ العبيـــــدَ أذَلَّـــــهُ اللهُ

فيقف المؤمن كالطود الشامخ أمام الطواغيت، يراهم كالذر على ما يملكون من جيوش جرارة، وعتاد وأسلحة، وسجون وزبانية.

ويرونه كالطود الأشم، وهو أعزل لا يملك سلاحًا، ولكنه يملك ما لا يملكون، يملك إيمانًا كالجبال الرواسي رسوخًا، لأنه يعتصم بالله، {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}.[٣]

ويتوكل على الحي الذي لا يموت، {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}.[١]

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٣١

٢ – سورة مَرْيَمَ: الآية/ ٩٣

٣ – سورة آل عمران: الآية/ ١٠١



ويسلم أمره لله؛ لأنه لا تثبتُ قدمُ الإسلامِ إلا على ظهرِ التسليمِ.

فلا تهن يومًا ولا تحزن، فإنك الأعلى بإيمانك، وأنت العزيز بربك.

{وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.[2]

اللهم أعزنا بطاعتك، ولا تذلنا بمعصيتك، وانصر الإسلام وأعز المسلمين

---

١ - سورة الطَّلَاقِ: الآية/ ٣

٢ - سورة آل عمران: الآية/ ١٣٩

تَدَبَر - ١٧٦

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.[1]

وَصَّى إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ بالإسلام، ومنهم أنبياء وهو أبو الأنبياء، وَوَصَّى يَعْقُوبُ بَنِيهِ بالإسلام، وهم الأسباط، ورغبهم فيه: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ}، لأن كل إنسان مهما بلغ من المنزلة، ومهما ارتقى من الدرجات يحتاج إلى من يذكره، ألم يقل الله تعالى: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}؟[2]

وتأمل الحرصَ على هدايةِ الأبناءِ قبل غيرهم لأنهم أمانة استرعانا الله تعالى إياها، وسوف يسألنا عنها يوم القيامة؛ «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا».[3]

ولا يكفيك أبدًا أن تبذل لهم من النصح ما تبذله لأي مسلم؛ لما بينك وبينهم من صلات النسب، ووشائج القربى؛ ولأنك مأمورٌ بهم أمرًا خاصًا، بالحيطة عليهم، والرعاية لهم، ووقايتهم، وتعهدهم بالنصح والأرشاد والتعليم؛ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ}.[4]

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٣٢

٢ - سُورَةِ الذَّارِيَاتِ: الآية/ ٥٥

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} [التحريم: ٦] ، حديث رقم: ٥١٨٨، ومسلم- كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ، وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ، حديث رقم: ١٨٢٩

٤ - سورة التَّحْرِيمِ: الْآيَةَ/ ٦

كثير منا ربما يضجر إذا رأى من أولاده تفريطًا، ويحزن إذا لمس منهم تقصيرًا، وييأس إذا لم يجد منهم لأمره استجابة، وينسى قول الله تَعَالَى لِرَسُولِهِ: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا}.[1]

أَلَمْ تَسْمَعْ إلى مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام: {وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا}.[2]

كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ، كَانَ تفيد تكرار الأمر لم يتبرم ولم يضجر، ولم ييأس.

فاحذر أن تلقى الله تعالى مفرطًا في حق أولادك، وتذكر دائما أن الرفق ما كان في شيء إلا زانه وجمله، وما نزع من شيء إلا شانه وقبحه.

اللهم اهد أولادنا، واجعلهم قرة عين لنا، وحبب إليهم الإيمان، وزينه في قلوبهم.

---

١ – سورة طه: الآية/ ١٣٢

٢ – سورة مَرْيَمَ: الآية/ ٥٥

تَدَبَر – ١٧٧

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.[١]

احذر أن تموت على غير الإسلام.

ولا تكون كذلك حتى تكون حياتك هي الإسلام، نومك ويقظتك، حركتك وسكونك، منطقك وصمتك، هزلك وجدك، وحبك وبغضك.

لا بد أن تضبط كل ذلك بالإسلام، وتزن كل ذلك بميزان الإسلام.

فإن من عاش على شيء مات عليه.

وإياك أن تستمع إلى من يقول لك ساعة لقلبك وساعة لربك، وينسى في ساعة القلب ربه. فالحياة كلها لله؛ {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}.[٢]

ولن تموت على الإسلام إلا إذا كنت تعمل في حياتك للإسلام؛ لذلك لا ترجو غير الله ، ولا تخش سواه، ولا تتوكل إلا عليه، ولا ترغب إلا إليه.

واحذر أن تضلَ في دروبِ الحياةِ، أو تتخبطَ في مسالكها، كحال أولئك الذين جربوا كل شيء فيها إلا الإسلام، جربوا الشيوعية، والإشتراكية، والرأسمالية، والعلمانية، والديمقراطية، وتركوا الإسلام.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٣٢

٢ – سورة الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٦٢

والعجيب أنهم استطابوا ذلك العفن، الذي هو زبالة أذهان البشر، وعافوا النبع الصافي، العذب، الرقراق، عافوا شريعة الله تعالى، وهي أضوء من القمر ليلةَ البدرِ، وأوضحُ من الشمسِ في رابعةِ النهارِ.

وأَنَّى لمن كان يستنكفُ من الإسلامِ طولَ عمرِهِ، أن يموتَ عليه؟

اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، آمين آمين.

تَدَبّر – ١٧٨

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي}.[١]

ترى ماذا سيعبد أبناؤك من بعدك؟

إذا كنت تأمن عليهم الافتتان من بعدك فقد أخطأت خطأ بينًا، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، كما قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكيف تأمن عليهم الفتنة؟ وهذا نبي الله يَعْقُوبُ عليه السلام يقلقه خوفه على بَنِيهِ مِنْ بَعْدِهِ، حتى عند احتضاره، عندما يذهل الإنسان عن الدنيا وما فيها.

وليس المقصود أن تسألهم هذا السؤال المجرد: مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي؟

إنما المقصود أن تغرسَ فيهم توحيد الله تعالى منذ نعومة أظفارهم، وتربطهم بالله تعالى في كل حركة وسكنة، ثم تتعهد غرسك طول عمرك، إلى أن يأتيك داعي الله تعالى يُؤذِنُك بالرحيل، حتى عند ذلك الخطب الجلل، تعهد غرسك، لتطمئن هل سيقوى على الريح، أم ستقتلعه أول عاصفة من بعدك؟

ذكرهم بالله دائمًا، وأنه معهم، وأنه يراهم، وأنه مطلع عليهم، وأنه لا يخفى عليه شيء؛ {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ}.[٢]

وليكن دأبك وديدنك معهم، يا بني: (احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ).

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٣٣

٢ – سورة آل عمران: الآية/ ٥



وكن أنت قدوتهم في الخوف من الله عز وجل، ومراقبته سبحانه تعالى.

اللهم إنا نستودعك أبناءَنا، فاحرسهم بعينك التي لا تنام، واحفظهم بركنك الذي لا يضام.



تَدَبَر – ١٧٩

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.[١]

لن تُسألَ إلا عن ذنبك ، ولن تُحاسبَ إلا على عملك، ولن تُحاسبَ عما فعله غيرك.

هذا مقتضى العدل الْإِلَهِيِّ، {أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}.[٢]

وإذا علمت أنك مسؤول عن عملك، ومحاسب أمام ربك، فالواجب عليك أن تَعُدَ للسؤالِ جوابًا، وليس أي جوابٍ، بل جواب تنجو به من عذاب الله تعالى، وتذكر أن الناقدَ بصيرٌ، وأنه يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وأنه عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، وأنه لا يُخَادَعُ سبحانه وتعالى، {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ}.[٣]

وكما أنك لا تحاسبُ عنْ عملِ غيرك، فلن يحاسبَ أحدٌ عنك، ولن يتحملَ أحدٌ عنك وزركَ، {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}.[٤]

ستقفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عاريًا، حافيًا، حاسرًا، خاشعًا، لَيْسَ بَيْنَك وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلاَ تَرْجُمَانٌ، تتلفتُ يمينًا وشمالًا لعلك تجدُ ملجأً، أو ترى مغيثًا، فَلَا تَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَت، وَتَنْظُرُ أَمَامَكَ فَلَا تَرَى إِلَّا النَّارَ، فاتق اللهَ، فإن عذابه شديدٌ، واتق النَّارَ، فإن قعرها بعيدٌ.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٣٤

٢ – سورة النَّجْم: الآية/ ٣٨

٣ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ٥

٤ – سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الآية/ ١٣، ١٤



قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».[١]

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ لِرَجُلٍ: كَمْ أَتَتْ عَلَيْكَ؟

قَالَ: سِتُّونَ سَنَةً.

قَالَ: فَأَنْتَ مُنْذُ سِتِّينَ سَنَةً تَسِيرُ إِلَى رَبِّكَ يُوشِكُ أَنْ تَبْلُغَ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

فَقَالَ الْفُضَيْلُ: أَتَعْرِفُ تَفْسِيرَهُ؟

تَقُولُ: أَنَا لِلَّهِ عَبْدٌ وَإِلَيْهِ رَاجِعٌ، فَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ لِلَّهِ عَبْدٌ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ رَاجِعٌ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ، وَمِنْ عَلِمَ أَنَّهُ مَوقُوفٌ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مَسْئُولٌ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ مَسْئُولٌ، فَلْيُعِدَّ لِلسُّؤَالِ جَوَابًا.

فَقَالَ الرَّجُلُ: فَمَا الْحِيلَةُ؟

قَالَ يَسِيرَةٌ، قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: تُحْسِنُ فِيمَا بَقِيَ يُغْفَرُ لَكَ مَا مَضَى، فَإِنَّكَ إِنْ أَسَأْتَ فِيمَا بَقِيَ، أُخِذْتَ بِمَا مَضَى وَبِمَا بَقِيَ.[٢]

اللهم ارزقنا قبل الموت توبة، وعند الموت شهادة، وبعد الموت جنة ونعيمًا.

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ كَلاَمِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، حديث رقم: ٧٥١٢، ومسلم– كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ، حديث رقم: ١٠١٦، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ١١٣)، ولطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٠٢)

تَدَبَّر - ١٨٠

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.[١]

لا تشغل نفسك بحساب الخلق، فليس ذلك إليك، ولا إلى أحد من الخلق، وليس ذلك من دين الله تعالى في شيء، بل دين الله تعالى يأمر بالستر، وينهى عن هتكِ الأستارِ، وكشفِ العَوْرَاتِ.

ظَنَّ بعضُ الناسِ أن السَّبَّ، والطعنَ، واللعنَ، دينًا يدينون الله تعالى به، فطعنوا في هذا وفَسَّقُوا هذا، وبَدَّعُوا هذا، وكَفَّرُوا ذلك، وظنوا أنهم يتقربون بذلك لله تعالى، ونسوا أن الله تَعَالَى قال لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ}.[٢]

وَقَالَ تَعَالَى: {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ}.[٣]

وَقَالَ تَعَالَى: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ}.[٤]

وَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ».[٥]

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٣٤

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةَ/ ١٢٨

٣ - سورة الرَّعْدِ: الْآيَةَ/ ٤٠

٤ - سورة الْغَاشِيَةِ: الْآيَةَ/ ٢١، ٢٢

٥ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٩٧٧٦، وأبو داود- كِتَاب الْأَدَبِ، بَابٌ فِي الْغِيبَةِ، حديث رقم: ٤٨٨٠، بسند صحيح

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رحمه الله: الْمُؤْمِنُ يَسْتُرُ وَيَنْصَحُ، وَالْفَاجِرُ يَهْتِكُ وَيُعَيِّرُ.[1]

ولم يسلم من طعنهم عالمٌ جليلٌ، نذرَ حياته لخدمة دين الله، ولا داعيةٌ نبيلٌ، بذل روحه في سبيل دعوته، ونسوا أو تناسوا أن الماءَ الكثيرَ لا يحملُ الخبث، وأن أخطاءَ مثلِ هؤلاءِ – لو أخطأوا – مغمورةٌ في بحارِ حسناتهم، حتى تَطَاولَ بعضُهم على أصحابِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

سألَ رَجُلٌ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، عما جرى بين عَلِيّ ومعاوية رضي الله عنهما، فأعرض عنه، فقيل له: يا أبا عَبْد اللَّهِ هو رَجُل من بني هاشم، فأقبل عَلَيْهِ فَقَالَ: اقرأ {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.[2]

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ مَهْرَوَيْه، سَمِعْتُ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ بنِ الجُنَيْدِ، قَالَ سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ يَقُوْلُ: إِنَّا لَنَطْعَنُ عَلَى أَقوَامٍ لَعَلَّهُمْ قَدْ حَطُّوا رِحَالَهُمْ فِي الجَنَّةِ مِنْ أَكْثَرَ مِنْ مائَتَيْ سَنَةٍ. قَالَ ابْنُ مَهْرَوَيْه: فَدَخَلْتُ عَلَى ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ وَهُوَ يَقْرَأُ عَلَى النَّاسِ كِتَابَ الجَرْحِ وَالتَّعْدِيْلِ، فَحَدَّثْتُهُ بِهَذِهِ الحِكَايَةِ، فَبَكَى وَارتَعَدَتْ يَدَاهُ حَتَّى سَقَطَ الكِتَابُ مِنْ يَدِهِ، وَجَعَلَ يَبْكِي، وَيَسْتَعِيدُنِي الحِكَايَةَ.[3]

فاحذر أن تلقى الله تعالى طَعَّانًا، لَعَّانًا، سَلِمَ منك اليهودُ والنصارى ولم يسلم منك المسلمون.

{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

---

١ – الفرق بين النصيحة والتعيير (ص: ١٧)، وانظر غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (١/ ١٠٩)

٢ – تاريخ بغداد (٦/٥٤٤)

٣ – سير أعلام النبلاء (٩/ ١٣٧)

تَدَبَر - ١٨١

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا}.[١]

أعجب ما قد تراه وتسمعه، إدعاء أهل الضلال أنهم على الهدى المبين، والصراط المستقيم، وحث الناس على اقتفاء آثارهم، والسير في ركابهم، والتشبه بهم، واعتقاد معتقدهم.

فعل هذا اليهود والنصارى، قَالُوا للمؤمنين: {كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا}.

وفعل هذا قبلهم فِرْعَوْنُ قَالَ: {ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ}.[٢]

وَقَالَ: {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ}.[٣]

ولا مانع عندهم للتلبيس على الناس من ذكر الألفاظ البراقة، والعبارت الرائقة، مثل: {تَهْتَدُوا}، {سَبِيلَ الرَّشَادِ} ، (التقدم) ، (الرقي) ، (التحضر) ، (المدنية)، وغيرها.

ولكن الأعجب من ذلك، أن يتشكك أهل الهدى في وحي الرحمن، وتهتز ثقتهم فيما عندهم فيه برهان.

فعل هذا فئام من هذه الأمة، سمعنا من يقول: لابد من الأخذ بالحضارة الغربية، حلوها ومرها، صالحها وفاسدها، حتى نصل إلى ما وصلوا.

وسمعنا من يسمى التمسك بالدين رجعية.

ويسمُ المتدينين بالتخلف.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٣٥

٢ - سُورَةُ غَافِرٍ: الآية/ ٢٦

٣ - سُورَةُ غَافِرٍ: الآية/ ٢٨



ويضحك ملء شدقيه على تعاليم رب الأرض والسموات، ويسخر من سنة خاتم المرسلين، ويحسبون أنهم مهتدون.

{رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}.

تَدَبَر – ١٨٢

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.[١]

استعل بإيمانك عن ضلالات أهل الضلال، واستعل بمنهجك عن زبالات أذهان أهل الأرض، إيمانك سماوي، ومنهجك رباني، هكذا أرادك الله، أرادك معتزًا، بدينك، ساميًا بمنهجك، مترفعًا عن السفاسف، والدنايا.

{قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}، حين تعرض عليك العقائد والديانات، وَقُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا حين تقدم إليك القوانين البشرية والتشريعات، وَقُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا حين تُرْفَعُ شعاراتُ أهل الباطل، ويَعْلُو صوتُ أهلِ الضلالِ.

احذر أن تكون إِمَّعَةً، لسان حالك:

وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ ***** غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ

فعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا».[٢]

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَيُوَطِّنَنَّ الْمَرْءُ نَفْسَهُ عَلَى أَنَّهُ إِنْ كَفَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا لَمْ يَكْفُرْ، وَلَا يَكُونَنَّ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةً»، قِيلَ: وَمَا الْإِمَّعَةُ؟ قَالَ: «الَّذِي يَقُولُ: أَنَا مَعَ النَّاسِ إِنَّهُ لَا إِسْوَةَ فِي الشَّرِّ».[٣]

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٣٥

٢ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِحْسَانِ وَالعَفْوِ، حديث رقم: ٢٠٠٧، بسند ضعيف

٣ – رواه أبو داود في كتاب الزهد، حديث رقم: ١٣٣، والطبراني في الكبير– حديث رقم: ٨٧٦٥



واحذر أن تكون كالإسفنجة، تَقْبَلُ كلَ ما يُعْرَضُ عليك، وتَرْضَى بكل ما يقال لك.

واحذر أن تكون من أولئك المنهزمين نفسيًا، الذين قالوا: ليس في الإسلام جهاد، وليس في الإسلام رجم، وليس في الإسلام حجاب، وليس في الإسلام....ويحسبون أنهم يخدون الإسلام، وهم أشد الناس عليه ضررًا.

عندك ميزان تميز به من الحق والباطل، والخطأ والصواب، والخير والشر، وتزن به ما اشتبه عليك أمره، وما التبس عليك فرده إلى عالمه: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.[١] والميزان شرع الله تعالى، فما وافقه فعلى العين والرأس، وما لا، فلَا نُعْمَةَ عَيْنٍ، ولا كرامةَ.

{رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ}.

١ – سورة النَّحْلِ: الآية/ ٤٣

تَدَبَر – ١٨٣

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا............}.[١]

كما يجب عليك أن تعتقد بقلبك أن الله تبارك وتعالى هو خالقك وخالق كل شيء، ومدبر أمرك وأمر كل مخلوق، وهو وحده بيده النفع والضر، وهو وحده المستحق للعبادة دون سواه، ينبغي عليك أن تقول ذلك بلسانك، وتعلن ذلك باعتزاز وفخر، وتدعو الناس لأن يعتقدوا ما تعتقد، ويؤمنوا بما آمنت.

وكما يجب عليك أن تؤمن بكتاب الله تعالى المنزل على رسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكل كتب الله تعالى التي أنزلها على رسله، يجب عليك أن تعلن ذلك بلسانك.

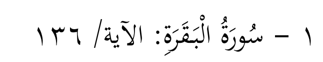
قل أنا مؤمن إذا دُعِيتَ لمعصيةِ، وقل أنا مؤمن إذا رأيت من بني جلدتك من يستحي من إظهار دينه، وقل أنا مؤمن إذا رأيت غيرك يسقط في حمأة الضلال، وقل أنا مؤمن إذا رأيت الناس يتهافتون على الذنوب تهافت الفراش على النار.

خـــالف هوالـــك إذا دعـــاك لريبـــةٍ ***** فَلَـــرُبَّ خـــيرٍ في مخالفـــةِ الهـــوى

قل أنا مؤمن إذا دعيت للتخلي عن ثوابت دينك، وقل أنا مؤمن إذا جمعتك بالناس المجامع.

قلها تعززًا بدين الله، وقلها شكرًا لنعمة الله تعالى عليك، وقلها حبا للإيمان، وقلها رضا بالرحمن.

{رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}.



١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٣٦



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}.[١] سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٣٦

لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رسل الله تعالى، فإيماننا بنبي الله مُوسَى، وَنبي الله عِيسَى، وسائر الأنبياء عليهم السلام كإيماننا بنبي الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ، وحبنا لهم كحبنا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكيف نُفَرِّقُ بينهم وهم إخوة كما أخبرنا نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم الصفوة المختارة من خلق الله تعالى، وهداة البشرية إلى رضوان الله تعالى.

ومن إيماننا بهم أن نعتقد أنهم بَلَّغُوا الرسَالةَ، وأَدَّوا الأمانةَ، ونَصَحُوا لأقوامهم، وصَبَرُوا على أذاهم، ومن حبنا لهم أن ندافعَ عنهم إذا أُسِيءَ إليهم، أو انتُقِصَ قدرهم، أو نال أحد منهم، ومن موالتنا لهم السير على دربهم، والتأسي بهم في دعوتهم لله تعالى، والصبر على ذلك، مع اعتقادنا بتوحيد الاتباع لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنه حظنا من الأنبياء، كما أننا حظه من الأمم.

واعتقادنا أن محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضلُ الرسلِ، وأكرمُ الخلقِ على الله تعالى لا يتعارض مع قوله تعالى: {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ}، لأننا لا نحط من قدر أحد منهم، بل نعتقد أنهم في أعلى درجات الكمال البشري، ولم لا؟ وهم صفوة الله من خلقه.

نسأل الله تعالى أن يدخلنا مدخلهم، وأن يجمعنا بهم في جنات النعيم.

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٣٦

تَدَبَر - ١٨٥

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا}.[١]

ما أعظمها من تزكية، وما أروعه من مدح، وما أسماها من منزلة تلك التي عليها أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد جعلهم الله تعالى مقياس الهدى والضلال لسائر الخلق، فأهدى الناس طريقةً، وأسلمهم قلوبًا، وأصفاهم عقيدةً، من وافق عقيدتهم، وسار على دربهم، وانتهج نهجهم، واقتفى آثارهم.

وأكثر الناس ضلالًا من خالف هديهم، وتنكب طريقهم، واعتقد غير عقيدتهم.

وأشد من هؤلاء غيًا، وأبعد منهم ضلالًا، وأسوء منهم حالًا من طعن في أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم الذين زكاهم الله تعالى من فوق سبع سموات، وأخبر أنه رضي عنهم، ورضوا عنه، قَالَ تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ}.[٢]

ووعدهم جميعًا الجنة، قَالَ تعالى: {أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى}.[٣]

وهم الذين بذلوا أرواحهم، وباعوا لله نفوسهم، خدمة لدين الله تعالى، لتكون كلمة الله هي العليا.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٣٧

٢ - سورة التَّوْبَة: الْآيَةُ/ ١٠٠

٣ - سُورَةُ الْحَدِيدِ: الآية/ ١٠



وقَالَ عنهم قائدهم وإمامهم رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ».[1]

اللهم ارزقنا حسن التأسي بهم، احشرنا في زمرتهم، وأدخلنا يوم القيامة مدخلهم.

١ - رواه البخاري- كِتَابُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»، حديث رقم: ٣٦٧٣، ومسلم- كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ تَحْرِيمِ سَبِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، حديث رقم: ٢٥٤٠

تَدَبَّر - ١٨٦

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا}.[١]

الهدى كل الهدى فيما كان عليه أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورضي الله عنهم، وذلك أن مشاربهم لم تشبها شائبة، ولم يكن لهم مصدر للتلقي غير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، بخلاف غيرهم الذين تكدرت مشاربهم، وشابها ما شابها من علومٍ أرضيةٍ، وأفكارٍ بشريةٍ، وأحكامٍ وضعيةٍ، وفلسفاتٍ عقيمةٍ، ونظمٍ سقيمةٍ، لا تشفي غليلًا، ولا تروي عليلًا، ولا تهدي ضالًا، ولا تبصر حائرًا.

نعم الهدى كل الهدى في هَذَا الْكِتَابِ الْعَزِيزِ الَّذِي {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}.[٢]

كَمَا قال الله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}.[٣]

وفي سنةِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومتابعةِ هديهِ، واقتفاءِ أثرهِ؛ كَمَا قال الله تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}.[٤]

وليس وراء ذلك للهدى مطلبًا، ولا للنجاة سبيلًا، فلو سلك العباد إلى الله تعالى كل سبيل، واستفتحوا كل باب، لم يكن لهم نجاة إلا من هذا الطريق.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٣٧

٢ - سورة فُصِّلَتْ: الآية/ ٤٢

٣ - سورة الإسراء: الآية/ ٩

٤ - سورة الشُّورَى: الآية/ ٥٢

ولا يكفي العبد أن يأخذ بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يكون بفهم أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورضي الله عنهم، فإنهم أبر الأمة قلوبًا، وأكثرها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأصدقها إيمانًا، وأصحها اعتقادًا.

{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}

تَدَبَر – ١٨٧

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.[١]

اليهود والنصارى فِي شِقَاقٍ منذ أن وجدوا وإلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يكفر بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا، كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ}.[٢]

وكل طائفة منهما دخلها الشِّقَاقُ، ودب بينها الخلاف، يكفر بعضها بعضًا، كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}.[٣]

وسنة الله تعالى في خلقه أن التنازع، والإختلاف، والشقاق سبب الضعف، والمهانة، بل سبب الهلاك.

وهم بينهم من التنازع، والإختلاف، والشقاق ما ذكره الله تعالى، فلماذا تأخر موعود الله تعالى بكفايتنا كيدهم، كما كفى اللهُ تعالى رسولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابَه كيدهم؟

الجواب أن بيننا نحن المسلمين أضعاف أضعاف ما بينهم من التنازع، والإختلاف، والشقاق، والإحن، والعداوات، وسنن الله تعالى لا تحابي أحدًا.

وقد حذرنا اللَّهُ تَعَالَى من التَنَازعِ فقَالَ: {وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}.[٤]

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٣٧

٢ – سورة البقرة: الآية/ ١١٣

٣ سورة المائدة: الآية/ ١٤

٤ – سورة الأنفال: الآية/ ٤٦

ولكننا تَنَازَعنَا فَفَشَلنَا؛ لأن الفشلَ نتيجةٌ حتميةٌ للنزاعِ، وَدَبَّ إِلَيْنَا دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَنَا الحَسَدُ، وَالبَغْضَاءُ، وقد حذرنا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا الداء العضال؛ فقَالَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، هِيَ الحَالِقَةُ، لاَ أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ».[١]

فليس سبب ضعفنا قلة عَدَدٍ، ولا ضعف عُدَدٍ، وإنما التَنَازَع، والشِّقاق، والحَسَدُ، وَالبَغْضَاءُ، وأنى لأمة هذا حالها أن تنتصر؟

اللهم بدل حالنا إلى أحسن حال، بدل ذلنا عزًا، وضعفنا قوة، واختلافنَا ألفةً، وبغضنَا حبًا.

١ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٥١٠، بسند حسن

تَدَبَر – ١٨٨

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ}.[١]

اعلم أن الله تعالى عندما هداك للإسلام، ووفقك للإيمان، وصبغك بصبغة الدين، فقد اختارك الله تعالى واصطفاك على كثير من خلقه، وإنما صبغك بهذه الصبغة لتظل ملازمًا لها، وملازمة لك طول عمرك، لا تنفك عنها ولا تنفك عنك، كلون بشرتك، ولون ثيابك بل أكثر ثباتًا.

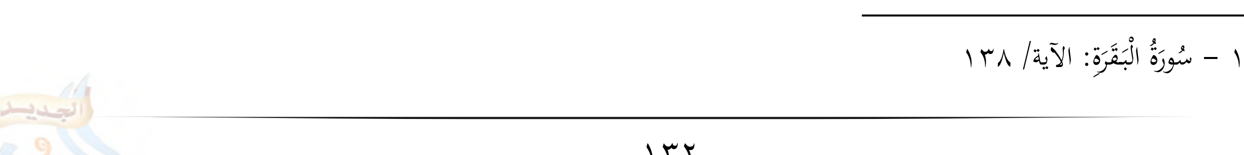
وصبغك الله تعالى بصبغة الدين ليظهر عليك الدين في سمتك، وأخلاقك، وعباداتك، ومعاملاتك، فاحرص ألا يظهر منك إلا ما يرضاه لك ويحبه منك.

وصبغك الله تعالى بصبغة الدين لتتميز عن غيرك، لتتميز عن اليهود والنصارى، وسائر أصحاب الملل والنحل، فاحذر أن تتشبه بهم في قول أو فعل، فتذهبَ عنك صبغةُ اللهِ، وتنسلخَ عما أراده الله تعالى بك.

واحمد الله تعالى على حسن بلائه بك، وعظيم منته عليك، وحسن توفيقه لك.

فلولا رحمته بك، ولولا فضله عليك، لكنت الآن ساجدًا تحت أقدام البقر، أو معفرًا وجهك لصنمٍ من حجر، أو ترجو النفع من قرد أو فأر، أو غارقًا في أوحال النصرانية، أو متدنسًا بأرجاس اليهودية.

فلا أحسن من الإسلام الدين الذي ارتضاه لك، وصبغك به، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً؟



١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٣٨

وليكن شعارك في كل حال، وفي كل مكان، وفي كل زمان: {وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ}، نلتزم أمره، ونجتنب نهيه، ونسارع في مرضاته، ونحكم شرعه، ونسموا بدينه، وندعوا الناس إليه.

اللهم أعزنا بدينك، واحفظنا بالإسلام، وارفعنا بالقرآن العظيم.

تَدَبَر – ١٨٩

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ}.[١]

من البلاء أن يجادل اليهود والنصارى وهم أهل شرك وضلال، المؤمنين الموحدين في توحيد الله تعالى.

ومن البلاء أن يتكلم باسم الدين أبعدُ الناس عن الدين، ومن يريدون إقصاءه عن حياة الناس.

ومن البلاء أن يأمرَ تاركُ الصلاة المجاهرُ بالمعصية، المتدينين بالاستقامة.

ومن البلاء أن ترى المتبرجةُ تاركةُ الصلاة، نفسهَا خيرًا من المحجبة الملتزمة بشرع الله تعالى.

هذا يحدث في كل زمان وفي كل مكان وفي كل عصرٍ، وفي كل مصرٍ، نرى ونسمع من يعيب على أهل التدين تدينهم، وهذا الذي بسط لسانه بالسوء، يرى نفسه أقرب إلى الله، وأهدى من المتدينين سبيلا.

زَعَمَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى على كفرهم وضلالهم أَنَّهُمْ أَوْلَى بِاللَّهِ مِن النَبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه لأَنَّ نَبِيَّهُمْ قَبْلَ نَبِيِّنَا، وَكِتَابَهُمْ قَبْلَ كِتَابِنَا، ونسوا أنهم ملعونون على لسان داود وعيسى بن مريم، وتناسوا أنهم لم يقيموا التوراة والإنجيل، ونسوا أنهم قالوا عن الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ}.[٢]

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٣٩

٢ – سورة آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١٨١



ونسوا أنهم قالوا عن الله تعالى: {يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ}.[1]

ومع ذلك يظنون أنهم أكثر تدينًا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد عبدوا العجل من دون الله، وقالوا لموسى عليه السلام: {يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}.[2]

اللهم إنا نعوذ بك من مضلات الفتن، وعمى البصائر، ومزالق الأهواء.

---

١ – سورة الْمَائِدَةِ: الآية/ ٦٤

٢ – سورة الْبَقَرَةِ: الآية/ ٥٥

تَدَبَر - ١٩٠

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ}.[١]

إلى الذين يعترضون على شرع الله تعالى، ويطعنون في أحكامه، ويزعمون أن ما وضعه البشر للبشر من أحكامٍ أحسن حالًا مما شرعه الله تعالى، يقال لهؤلاء: {أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ}.

وكيف يضع البشر لأنفسهم قوانين وأحكامًا، وهم لا يعلمون عن أنفسهم إلا القليل، والعجب أنهم لا يرتضون للآلة أن تعمل على وفق نظام صانعها، ويتعبر من خالف ذلك متعديًا.

والإنسان صنعة الله تعالى، {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ}.[٢]

والله تعالى أعلم بما يصلح عباده إذا تطرق إليهم فسادٌ، وأعلم بما يحفظهم من الشرور والمهالك، {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}.[٣]

وليس العجب أن يطعن كافرٌ في شرع الله تعالى، ولكن العجبَ كلَ العجبِ أن يطعن مسلمٌ فيه.

وشرع الله تعالى أتى بجلب المصالح وتكميلها، ودرأ المفاسد وتقليلها.

وما من خير إلا وقد دلنا عليه ربنا في كتابه، وفي سنة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما من شر إلا وقد حذرنا الله تعالى منه.

ولهؤلاء الذين تعترضون على أحكام الشرع نسوق هذا الخبر:

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٤٠

٢ - سورة النمل: الآية/ ٨٨

٣ - سورة الملك: الآية/ ١٤



عُقِدَ مؤتمرٌ للحقوق بكلية الحقوق بجامعة فيينا في مطلع القرن الماضي، وقام عميد كلية الحقوق وكان يقال له شاترل فقال: إن البشرية لتفخر أن ينتسب إليها رجل كمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ أنه قد أتى بتشريع منذ أربعة عشر قرنًا سنكون نحن الأوربين أسعدَ ما نكون إذا وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة.[1]

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

١ – انظر موسوعة الغزو الفكري والثقافي وأثره على المسلمين (٦/ ١١٦)، وهذا ديننا (ص: ٢٠٧)

تَدَبَر - ١٩١

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ}.[١]

لا أحدَ أعظمَ ظلمًا، مِمَّنْ ائْتَمَنَهُ الله على شَهَادَةٍ فكتمها، وجحدها، واشترى بها ثمنًا قليلًا، فَعَلَ ذلك اليهودُ عليهم لعائنُ اللهِ المتتابعةَ إلى يوم القيامة، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ}.[٢]

فقد أخَذ اللهُ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ والميثاق عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ يعلنوا ذِكْرَهُ فِي النَّاسِ لِيُؤْمِنُوا به ويتابعوه إِذَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ تعالى، فَنَبَذُوا عهدَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، وكَتَمُوا شَهَادَةً استودعهم اللَّهُ إياها، فليس أحد أسوأ منهم حالًا، وليس أحد أقبح منهم مآلًا.

وَمِمَّنْ ائْتَمَنَهُم الله على دينه، علماءُ هذه الأمة، أمرهم الله تعالى أَنْ يَبْذُلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، الدَّالِّ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا يَكْتُمُوا مِنْهُ شَيْئًا، وحذرهم أشدَ التحذيرِ أَنْ يَسْلُكُوا مَسْلَكَ اليهودِ، فَيُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ، فقَالَ: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ}.[٣]

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٤٠

٢ - سورة آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١٨٧

٣ - سورة آل عمران: الآية/ ٧٩



وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».[1]

فكل من كتم شيئًا من دين الله تعالى، أو أحلَ حرامًا أو حرمَ حلالًا قاصدًا، أو جحد حكمًا شرعيًا، أو اشترى به ثمنًا، من علماء هذه الأمة فهو متشبه باليهود، ولا ينتظرُ إلا مصيرًا كمصيرهم، وعقابًا كعقابهم.

لذا قال عبد الله بن المبارك: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود.

اللهم إنا نعوذ بك من الضلال بعد الهدى، ومن الغي بعد الرشاد.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٧٥٧١، وأبو داود- كِتَاب الْعِلْمِ، بَابُ كَرَاهِيَةِ مَنْعِ الْعِلْمِ، حديث رقم: ٣٦٥٨، والترمذي- أَبْوَابُ الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كِتْمَانِ العِلْمِ ، حديث رقم: ٢٦٤٩، وابن ماجه- افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، بَابُ مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، حديث رقم: ٢٦٤، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، بسند صحيح

تَدَبَّر – ١٩٢

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}.[١]

يالها من كلمة تقض المضاجع، وتعقد الألسن، وتزلزل القلوب.

الله يرى فعلك، ويسمع ما تقول، يعلم ما تحدث به نفسك، وما يدور في خلدك، سرك عنده علانية، {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}.[٢]

نعم إن الله، {يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ}.[٣]

نعم إنه الله الذي: {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ}.[٤]

وهل يشك في ذلك مؤمن؟ {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلامُ الْغُيُوبِ}.[٥]

فإذا سترك فبفضله، وإذا لم يفضحك فبرحمته، وإذا لم يعاجلك بالعقوبة فبرفقه بك، فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا تَعْمَلُ، وإياك أن تظن أن الله لايدري بما تدبر، ولا تتوهم أن ما تخفيه، عنه يغيب، {وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}، بل إنه يعلم ما هو أخفى من السر، {وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى}.[٦]

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٤٠

٢ – سورة الْحَجِّ: الآية/ ٧٠

٣ – سورة الْأَنْعَامِ: الآية/ ٣

٤ – سورة سَبَإٍ: الآية/ ٣

٥ – سورة التَّوْبَةِ: الآية/ ٧٨

٦ – سورة طَهَ: الآية/ ٧



الغيب عنده علانية، ألم تسمع قول الله تعالى: {سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ}.[1]

هل تؤمن بهذا؟

هل عندك يقين في ذلك؟

فماذا ستجيب إذا قال لك غدًا: عبدي لم جعلتني أهون الناظرين إليك؟

اللهم ارزقنا قبل الموت توبة، تغسل بها ذنوبنا، وتستر بها عيوبنا، وترضى بها عنا.

١ – سورة الرَّعْدِ: الآية/ ١٠

تَدَبَر – ١٩٣

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا}.[١]

ما أكثرَ السفهاء من الناس، وما أقلَ العقلاء، هذه حقيقة لا ينكرها إلا مكابرٌ؛ قال الله تعالى: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ}.[٢]

والآية وإن كانت نزلت ردًا على اليهود السُّفَهَاء، إلا أن السفه ليس قاصرًا على اليهود، وإن كانوا قد بلغوا الغاية من السفه.

وقد يظهر السفه في التعاملات المالية للإنسان كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا}.[٣]

ومثل هذا الصنف من الناس يرجى لهم الرشد مع تقدم العمر.

وقد يظهر السفه في منطق الإنسان، واستطالته على غيره من الناس، وهذا الصنف من الناس علاجه في هجره، وترك الرد عليه.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٤٢

٢ – سورة العنكبوت: الآية/ ٦٣

٣ – سورة النِّسَاءِ: الآية/ ٥



كما قال الشافعي رحمه الله:

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلا تُجِبْهُ ***** فَخَيرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُكُوتُ

فَإِنْ كَلَّمْتَهُ فَرَّجْتَ عَنْهُ ***** وَإِنْ خَلَّيْتَهُ كَمَداً يَمُوتُ

وقد يظهر السفه في الاستطالة على دين الله تعالى، بالطعن في أحكامه، والنيل من قدسيته، وهذا الصنف من الناس ليس لما عندهم من السفه علاجٌ، ولو مات الواحدُ منهم على ذلك، أعني مات وهو يطعن في أحكام الشرع، فيصفها تارة بالرجعية والتخلف، وتارة بالتزمت والتشدد، وتارة بالغلظة والقسوة، ويجعل الدين محطًا للسخرية والاستهزاء، ومادة للتندر والنكات، لو مات على ذلك فليس له إلا النار؛ لأن هذا ليس شأن المؤمنين، وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ».[1]

اللهم إنا نعوذ بك من السفه، والطيش، والغفلة، والغرور.

---

١ - تقدم تخريجه

تَدَبَر - ١٩٤

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}.[١]

الذي يملك هدايتك وتوفيقك، هو الذي يملك أمرك، وأمر كل الكائنات، والذي يملك الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ، ويملك الكون كله.

قلوب الخلق بين إصبعين من أصابعه، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ رحمةً منه وفضلًا، ويضل من يشاء حكمةً منه وعدلًا.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ».[٢]

ولا يملك الخلق جميعًا هداية إنسان ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، ولو بلغت محبته شغاف قلوبهم، ألم تسمع إلى ما قاله الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في شأنه عمه الذي كان حريصًا على هدايته؟

قال سبحانه وتعالى له: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}.[٣]

وبين خلق الله تعالى للكائنات وهداية الخلق صلة وثيقة كما في الآية، ويظهر هذا جليًا في ما ثبت عن عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، كَانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ،

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٤٢

٢ - رواه الترمذي- أَبْوَابُ الْقَدَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيِ الرَّحْمَنِ، حديث رقم: ٢١٤٠

٣ - سورة الْقِصَصِ: الآية/ ٥٦



أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».[1]

اللهم يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ، واهْدِنَا لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

---

١ – رواه مسلم– كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ، حديث رقم: ٧٧٠

تَدَبَر - ١٩٥

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}.[١]

من نعم الله تعالى علينا أنه جعلنا من هذه الأمة.

نعم، هذا من أجل نعم الله تعالى علينا.

لأن هذه الأمةَ أمةٌ مرحومةٌ، رفع الله تعالى عنها الآصار والأغلال التي كانت على من قبلها من الأمم.

وجعلها خير أمة أخرجت للناس؛ {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}.[٢]

وهذا هو معنى: {أُمَّةً وَسَطًا}، وليس المقصود أنها متوسطة بين طرفين، كما قال تعالى: {قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ}.[٣]

قال المفسرون: أَيْ: أَعْدَلُهُمْ وَخَيْرُهُمْ.

فأنت تنتسب إلى خير أمة في عقيدتها، وعبادتها، ورسولها، وأجورها، أعطانا الله إذ حَرَمَ الناسَ، وتجاوزَ عنا فيما شَدَّدَ فيه على غَيرِنَا.

قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَاليَهُودُ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ اليَهُودُ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ عَمِلَتِ النَّصَارَى عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلاَةِ العَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ

١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٤٣

٢ - سورة آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١١٠

٣ - سورة الْقَلَم: الآية/ ٢٨



عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ»، فَغَضِبَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ عَطَاءً، قَالَ: «هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟» قَالُوا: لاَ، فَقَالَ: «فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ».[1]

وانتسابك لهذه الأمة المرحومة التي منها هؤلاء المصطفون الأخيار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه، ليس باسمك ولا بنسبك ولا بحسبك، وإنما انتسابك لها باعتقادك، وعملك، وحسن خلقك، حتى تدخل في زمرتها، وتحشر يوم القيامة تحت لواءها، وتنالك شفاعة نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللهم احشرنا يوم القيامة تحت لواء نبينا، وأدخلنا مدخله، واسقنا من يده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدًا.

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الإِجَارَةِ، بَابُ الإِجَارَةِ إِلَى صَلاَةِ العَصْرِ، حديث رقم: ٢٢٦٩

تَدَبَر – ١٩٦

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}.[١]

لما كانت هذه الأمة أشرفَ الأممِ وأكرمَها على الله تعالى، جعلهم الله تعالى شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يشهدون للرُّسُلِ أنهم قَدْ بَلَّغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ، وأدوا الأمانةَ، ونصحوا لأقوامهم، حين يقول قومُ كلِ رسولٍ: مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ لاَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَالوَسَطُ العَدْلُ".[٢]

ومع ذلك فمن الناس من يُمْنَعَ من الشهادةِ ويُسْلَبَ هذا الشرفَ العظيم، وذلك بذنب يتهاون فيه كثير من الناس، وذلك الذنب هو اللعن؛ فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ».[٣]

ومن شناعة هذا الذنب كذلك – أعني اللعن – أنه من أعظم أسباب دخول النار، ومما يؤسف له أن كثيرًا جدًا من النساء يقعن فيه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٤٣

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [نوح: ١]– إِلَى آخِرِ السُّورَةِ – ، حديث رقم: ٣٣٣٩

٣ – رواه مسلم– كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا، حديث رقم: ٢٥٩٨

النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ».[1]

فاحرص يارعاك الله أن تلقى الله تعالى، وقد سلم لسانك من السب والشتم واللعن، فإن لعن المعين لا يجوز ولو كان كافرًا، إلا من لعنه الله أو لعنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللهم طهرنا قلوبنا من النفاق، وألسنتنا من الكذب والسباب، وأعيننا من الخيانة.

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الحَيْضِ، بَابُ تَرْكِ الحَائِضِ الصَّوْمَ، حديث رقم: ٣٠٤، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، ورواه مسلم– كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ نُقْصَانِ الْإِيمَانِ بِنَقْصِ الطَّاعَاتِ، وَبَيَانِ إِطْلَاقِ لَفْظِ الْكُفْرِ عَلَى غَيْرِ الْكُفْرِ بِاللهِ، كَكُفْرِ النِّعْمَةِ وَالْحُقُوقِ، حديث رقم: ٧٩ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ.

تَدَبّر – ١٩٧

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ}.[١]

شأن العبد مع مولاه الطاعة المطلقة، والاستجابة الدائمة، في المنشط والمكره، في العسر واليسر.

احذر أن تتقدم بين يدي مولاك، فإن دين الله تعالى لا يقبل اقتراح مقترح، ولا انتقاد منتقد، ولا زيادة زائد، "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم".

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.[٢]

واحذر أن تعرض الدين على عقلك، فما استساغه قَبِلتَه، وما أنكره رَدَدتَه، فإن هذا ليس شأن العبدِ مع سيدهِ.

فإن الله جل وعلا قال لنبيه وخير خلقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}.[٣]

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ}.[٤]

وَقَالَ تَعَالَى: {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ}.[٥]

وإنما تظهر عبوديتك لله تعالى، في امتثالك لأمره مهما أمرك، واجتنابك لنهيه مهما زجرك، ألم تسمع ما قاله سيدك عمن سقطوا في اختبار العبودية؟

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٤٣

٢ – سُورَةُ الْحُجُرَاتِ: الآية/ ١

٣ – سورة آل عمران: الآية/ ١٢٨

٤ – سورة آل عمران: الآية/ ١٥٤

٥ – سورة الرَّعْدِ: الآية/ ٤٠

قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}.[1]

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لَكَ شَكَّارِين، لَكَ ذَكَّارِين، لَكَ رَهَّابِين، لَكَ مِطْوَاعِين، إِلَيْكَ مُخْبِتِين، لَكَ أَوَّاهِين مُنِيبِين.

١ – سورة النِّسَاءِ: الآية/ ٦٦– ٦٨

تَدَبَر – ١٩٨

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ}.[١]

بعض الناس أحكام الشرع كبيرة جدًا عليه، وثقيلة جدًا على قلبه، إذا أثيرت شبهةُ عن الإسلام أمامه طأطأ رأسه، واعتراه الخجل، وبادر بإنكار هذا الحكم، والبراءة منه، منهزم نفسيًا، يخجل من إظهار دينه، ويتمعر وجهه لو وصف بالتدين، وتثور ثائرته إذا سمع من يدعو إلى تطبيق شرع الله، يريد إسلامًا لا وجود له إلا في ذهنه، وأذهان من ينظر إليهم بإكبار من المستشرقين، يريد إسلامًا لا يعدو الصلاة، والصيام، والحج، ومكارم الأخلاق، إسلامًا لا وجود له إلا في المسجد.

أما أن يحكم حياة الناس ومعاملاتهم، أو يضبط حياة الفرد والمجتمع، أو يحول بين الناس وبين المحرمات، أو يؤمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر، فهذا ما لا يقبله، ولا يرتضيه.

أما الذين هداهم الله، فيرون الإسلام عزًا لا ذل فيه، وشرفًا دونه كل شرف، وكمالا لا نقص فيه، يرفعون به رؤوسهم، وتسمو به نفوسهم، لا يفرقون بين أحكامه، ولا يفرطون في شيء من تعاليمه.

فاحذر أن ترى شيئًا من أحكام الله كبيرًا عن أن تمتثله، واحذر أن تضيق نفسك بشيء من دين الله.

فقد قَالَ تَعَالَى: {فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.[٢]

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٤٣

٢ – سورة النِّسَاءِ: الآية/ ٦٥

وفي الحديث: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ».[1]

اللهم اشرح صدورنا لدينك، وحبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين.

---

١ – رواه ابن أبي عاصم– بَابُ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَوَى الْمَرْءِ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ١٥، بسند فيه ضعف

تَدَبَر – ١٩٩

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}.[١]

لا أدل على المكانة العظيمة للصلاة من هذه الآية العظيمة، فقد سمى الله تعالى الصَّلَاةَ إيمانًا، قال البخاري رحمه الله: بَابٌ: الصَّلاَةُ مِنَ الإِيمَانِ، وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}، يَعْنِي صَلاَتَكُمْ عِنْدَ البَيْتِ.

وقد أجمع العلماء على أن الصلاة هي أعظم أركان الإسلام العملية، وأنه أعظم شعائر الدين الظاهرة.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من حافظ عليها فهو لما سواها أحفظ ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

قال الإمام أحمد رحمه الله: (واعلم أنّ حظّك من الإسلام وقدر الإسلام عندك بقدر حظّك من الصّلاة وقدرها عندك).[٢]

فاحذر أن تلقى الله تعالى مفرطًا في الصلاة، فإن الصَّلَاةَ عِمَادُ الدِّينِ، وركنُ الإسلامِ الركين، وَرَأْسُ الْعِبَادَاتِ، وَعَلَامَةُ الْإِيمَانِ.

وهي أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عليه العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٤٣

٢ – كتاب الصلاة للامام احمد (ص: ٥٤)



وهي الفارق بين الإيمان والكفر؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ».[1]

{رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ}

---

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٢٩٣٧، الترمذي– أَبْوَابُ الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَرْكِ الصَّلاَةِ، حديث رقم: ٢٦٢١، والنسائي– كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ الْحُكْمِ فِي تَارِكِ الصَّلَاةِ، حديث رقم: ٤٦٣، وابن ماجه– كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ، حديث رقم: ١٠٧٩، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، بسند صحيح

تَدَبَر - ٢٠٠

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}.[١]

من رحمة الله ورأفته بِالنَّاسِ إنزال الكتب، وإرسال الرسل، {كِتَابٌ أَنزلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}.[٢]

ومن رحمته ورأفته بهم إسباغ النعم عليهم ظاهرة وباطنة، {وَالْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ}.[٣]

ومن رحمته ورأفته بهم أنه لا يعاجل بالعقوبة، ولا يؤاخذ بالذنب، بل يمهل ليتوب عاص، ويفيء ظالم: {أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}.[٤]

فما أرحم الله بنا، وما أرأفه، وما أكرمه، ويا ويل مَنْ لا يرى رحمةَ الله ورأفتَه في كل ما يجري حوله، {إِنَّ الإنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}.[٥]

اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فأنت علينا قادر، والطف بنا يا مولانا فيما جرت به المقادير.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٤٣

٢ - سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: الْآيَةُ/ ١

٣ - سُورَةُ النَّحْل: الْآيَات/ ٥ : ٧

٤ - سُورَة النَّحْل: الْآيَات/ ٤٥: ٤٧

٥ - سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: الْآيَة/ ٣٤

تَدَبَر – ٢٠١

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}.[١]

ما يظهره اليهود والنصارى من عداء للإسلام ليس منشأه الجهل بدين الله تعالى، وما يفعله القساوسة والأحبار والإعلاميون من سب وشتم وافتراء، وأفلام ورسوم مسيئة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليس سببه أنهم لا يعرفون حقيقته، وأنه أحدُ رسلِ اللهِ العظام، وأحد أنبيائه الكرام.

بل يعلمون تمام العلم أنه رسول من عند الله تعالى بشر به موسى وعيسى عليهما السلام ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ}.[٢]

إذا لماذا كل هذا العداء للإسلام ولنبي الإسلام محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

الجواب أن الإسلام ينتشر في بلادهم انتشارًا عظيمًا جدًا، ودخل كثير من الأوربيين والأمريكان وغيرهم في دين الله أفواجًا، فوجد سدنة أهل الكتاب لاسيما القساوسة والرهبان أنفسهم وقد سُحِبَ البساطُ من تحت أقدامهم، وأصبحت كنائسهم خاوية على عروشها، فلم يجدوا وسيلة لوقف الزحف الإسلامي إلا بالطعن في الإسلام، وحرق القرآن، والطعن في نبي الإسلام.

فعلوا ذلك بالإسلام وهم يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، ولكن ما لا يعلمونه أن أفعالهم تلك لا تزيد الإسلام إلا انتشارًا، ولا تزيد المسلمين إلا تمسكًا بدينهم؛ {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٤٤

٢ – سورة الْبَقَرَة: الآية/ ١٤٦

لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ }.[1]

اللهم مكن لدينك في الأرض وافتح له قلوب الناس.

---

١ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٣٦



تَدَبَر – ٢٠٢

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ}.[١]

قلما ينغمس إنسان في الباطل ثم ينجو منه، والسبب أن حبَ الباطل تغلغلَ في كيانه، وأشربهَ قلبُهُ، وامتدت جذور ذلك الباطل فيه، حتى صَعُبَ قلعُها، وعَسُرَ نزعُها، فيرى الآياتِ البيناتِ، والدلائلَ الواضحاتِ، والمعجزاتِ الباهراتِ، فلا تحرك فيه ساكنًا، ولا تثير فيه كامنًا؛ لأنه أبعد الناس عن الهدى، كما قال الله تعالى: {قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا}.[٢]

وكما قال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ}.[٣]

أليس قد قيل: (حبك الشيء يعمي ويصم)؟

فكيف إذا كان هذا الشيء كفر؟

لا يبصر صاحبه نور الإيمان وهو أشد سطوعًا من الشمس، وأكثر وضوحًا من النهار.

وصدق القائل: كم من بصير قلبه أعمى.

اللهم إنا نسألك إيمانا كاملا، ويقينًا صادقًا.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٤٥

٢ – سورة مَرْيَمَ: الآية/ ٧٥

٣ – سورة التوبة: الآية/ ١٢٥

تَدَبَر – ٢٠٣

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ}.[1]

بعض الناس يترك قناعاته، ويترك مبادئه، بل ويترك دينه، ليرضي أعداء الله، وينفذ رغباتهم، إذا قالوا صدق مقالتهم، وإذا اقترحوا اثنى على مقترحهم، وإذا أمروا كان أول الممتثلين لأمرهم، يبكي على مصابهم، ويندب جراحهم، ويعلن تضامنه معهم، ولا يحرك ساكنًا لدماء المسلمين التي تسيل، وجراحهم التي تنزف.

وتغافل هذا الغافل، عن قول الله تعالى: {إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ}.[2]

وتعامى عن قول الله تعالى: {وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ}.[3]

ويقول إنها إخوة إنسانية، نقول نعم. ولكن نخشى أن تكون من جنس الإخوة التي قَالَ تَعَالَى عنها: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..... }.[4] صلاحك في البعد عن أهوائهم، واستقامتك في مجانبتهم، وولاؤك لدينك بقدر براءتك منهم.

اللهم أرنا الحقَ حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطلَ باطلًا وارزقنا اجتنابه.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٤٥

٢ – سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ: الآية/ ٢

٣ – سُورَةُ آل عمرانِ: الآية/ ١١٨

٤ – سُورَةُ الْحَشْرِ: الآية/ ١١

تَدَبَر – ٢٠٤

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ}.[١]

إذا كان عندك علم من الشرع في مسألة من المسائل أو نازلة من النوازل، فلا تلتفت لغيره، لا تهتم بقول قائل معه، مهما كان الذي جاءك به، ومهما زُين هذا القول أو زُخرف.

فليس لأحد مع الله تعالى قولٌ، وليس لأحد مع رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأي.

وقل لمن يقترح رأيا أو يصدر حكمًا مغايرًا حكم الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.[٢]

اللهم خذ بنواصينا إليك، أخذ الكرام عليك.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٤٥

٢ – سورة النَّحْلِ: الْآيَةَ/ ٧٤

تَدَبَر – ٢٠٥

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}.[١]

العلم وحده لا يكفى للاستجابة للحق، ومناصرته، والدعوة إليه.

اليهودُ كانوا يَعْرِفُونَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وما ذلك كانوا أشد الناس عداءً له ولدينه.

الأمر كله محض توفيق من الله تعالى.

اسأل الله عز وجل أن يوفقك للحق، وأن يثبتك عليه.

اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه.

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٤٦



تَدَبَر – ٢٠٦

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}.[١]

إذا استبانَ لك الحقُ، واتضحتْ مَعَالِمُهُ، واستنارتْ لك سُبُلُهُ، فاحرصْ على أن تكون من أنصارِهِ، وإياك أن تكون من المتشككين المرتابين.

فإنه لا يستوي عند اللهِ تعالى مَنْ كَانَ مِنْ أهلِ اليقينِ، ومَنْ كَانَ مِنَ الشَّاكِّينَ.

اللهم إنا نسألك إيمانا يباشر شغاف قلوبنا.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٤٧

تَدَبَر – ٢٠٧

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ}.[١]

لكل إنسان هدف يسعى إليه، ومقصد يتوجه إليه.

منهم من يرجو النجاة، ولم يسلك مسالكها، أجهد نفسه، وضل سعيه، {عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً}.

ومنهم من يهيم على وجهه، ويمشي من غير تبصر، {اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ}، يَحْسَبُ أنه خُلِقَ عَبَثًا، وَأَنَّه تُرِكَ سُدًى، وَأَنَّه ليس إِلَى اللهِ راجِعٌ.

وأكثرهم يسعى إلى الهلاك سعيًا حثيثًا، ويغذ السير في دروبه، ويدعو غيره إليه، {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ}.

فاحرص أنت أن تكون من السابقين إلى الخيرات، فإنك على الجادة، معك حاد يحدو بك، ودليل يهديك السبيل، كتاب الله.

ولا تستوحش من قلة أهل الحق، فأنت والحق جماعة، ولا تغتر بكثرة أهل الباطل، فقد حكم الله تعالى على الكثرة حكمًا مطلقًا، بإنهم لا يعلمون، وأنهم لا يؤمنون، وأنهم لا يشكرون.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: اتبع طريق الحق، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ، ولا تغتر بكثرة الهالكين.

اللهم ثبتنا على دينك حتى نلقاك.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٤٨



تَدَبَر – ٢٠٨

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: {أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.[١]

كيف ستأتي الله تعالى يوم القيامة؟

كالعبد الآبق؟ الذي فر من سيده فَأُتِيَ به مكبلًا، مغلولًا، يغشاه الخزي، وتعلوه الكآبة؟

هل ستأتي الله تعالى كارهًا للقائه؟

{يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا}.[٢]

أم ستأتي الله تعالى فرحًا مستبشرًا مسرورًا؟

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ}.[٣]

هما صنفان يوم القيامة لا ثالث لهما، فاختر لنفسك، واعلم أنك في المهلة، يمكنك أن تتدارك أمرك.

اللهم خذ بنواصينا إليك أخذ الكرام عليك.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٤٨

٢ – سورة النساء: الآية/ ٤٢

٣ – سورة عَبَسَ: الآية/ ٣٨ – ٤١



تَدَبَر – ٢٠٩

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي}.[١]

أهل الظلم والعناد والاستكبار ليس مرادهم الهدى، ولا غايتهم ظهور الحق، بل يضعون الشبهة موضع الحجة، ويلبسون الحق بالباطل.

ومن كان هذا شأنه، فمن العبث تضييع العمر في سَوقِ الأدلةِ والبراهينَ لهدايته.

بل دواؤه النافع، وعلاجه الناجع، الإعراض عنه، ونبذه وراء الظهر.

فليس منه ضير، كما لا يرجى منه خير.

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٥٠



تَدَبَر – ٢١٠

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي}.[١]

لا يملك لك النفع إلا الله، ولن يدفع عنك الضر إلا الله، فلا تنشغل إلا بالله.

فلا ترجو غيره، ولا تخش سواه.

ألم تسمع إلى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ}.[٢]

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٥٠

٢ – سورة يُونُسَ: الآية/ ١٠٧

تَدَبَر – ٢١١

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}.[١]

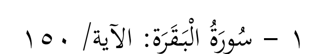
تأمل كيف قدم الله عز وجل الغاية على الوسيلة!

فإن تمام النعمة دخول الجنة، وهي غاية العبد، ومنتهى أمله، ودليل رضى الله تعالى عنه.

والهدى سبب دخولها، والسبيل الموصل إليها.

ولما كانت الغايات أعظم من المقاصد، قدمها الله تعالى؛ لتتشوف النفس إليها، ثم تسعى لتحصيل السببِ الْمُوَصِّلِ إليها، وهو الأخذ بأسباب الهداية، والاستقامة عليها.

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة.



١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٥٠

تَدَبَر – ٢١٢

قَالَ اللَّهُ تَعالَى: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}.[1]

الغايةُ من إرسالِ الرسلِ، وإنزالِ الكتبِ تزكيةُ النفوسِ.

كما قال مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِفِرْعَوْنَ: {هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى}.[2]

والمراد من تزكية النفوس تَطْهِيرُهَا مِنْ دَنَسِ الشِّرْكِ، ومساوئِ الْأَخْلَاقِ، وأدرانِ الْجَاهِلِيَّةِ.

وبقدر حظك من التزكية تكون نجاتك يوم القيامة.

{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}.[3]

اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٥١

٢ – سورة النَّازِعَاتِ: الآية/ ١٨، ١٩

٣ – سورة الشَّمْسِ: الآية/ ٩، ١٠

تَدَبَر – ٢١٣

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}.[١]

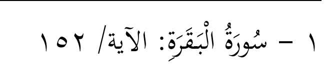
حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى على العبادِ: «أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يَشْكُرَ فَلَا يُكَفِّرُ، وَأَنْ يَذْكُرَ فَلَا يَنْسَى».

ومع ذلك يرغبنا في ذكره، ويعدنا بعطاء يدهش الألباب، وتطيش له العقول.

هل تدري معنى أن يذكرك الله؟

إنه الشرف الذي دونه كل شرف، والفوز الذي لا يدانيه فوز، والسعادة التي لا شقاء بعدها.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.



١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٥٢

تَدَبَر - ٢١٤

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.[١]

تأمل كيف جمع الله تعالى بين الصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ هنا، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ}.[٢]

وذلك لأن الصَّبْرَ سكينةٌ للنفسِ، وضياءٌ للقلبِ، وبه تشرق شمس الإيمان فتنير جنبات الفؤاد؛ لذا قيل: الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ، كَمَا أَنَّهُ لَا جَسَدَ لِمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ.

وَالصَّلاةُ دَافِعَةٌ لِلهُمُومِ، مَطْرَدَةٌ لِلْأَدْوَاءِ، مُذْهِبَةٌ لِلْكَسَلِ، مُنَشِّطَةٌ لِلْجَوَارِحِ.

فاجتمع بِالصَّبْرِ قوةُ القلبِ، وَبالصَّلَاةِ قوةُ البدنِ.

وَبِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ يُسْتَدْفَعُ كلُ شَرٍ، ويُسْتَجْلَبُ كلُ خَيْرٍ.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٥٣

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٤٥



تَدَبَر - ٢١٥

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.[١]

تَأَمَّلْ سَبَبَ مَعِّيَةِ اللَّهِ تَعَالَى للصَّابِرِينَ!

لَمَّا تركوا الذنوبَ والمعاصِي؛ لأنها تثبطهم عَنِ السيرِ إلى اللَّهِ تَعَالَى.

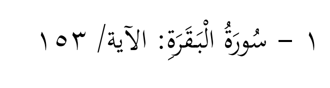
وتركوا الشهوات؛ لأنها تقطعهم عن عبادةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وتركوا التسخطَ على أقدارِ اللهِ، لأنه سَبَبُ سخطِ اللَّهِ تَعَالَى.

وصَبَرُوا عَلَى الطاعاتِ؛ لأنها تقربهم إلى اللَّهِ تَعَالَى.

لَمَّا حَبَسُوا أنفسَهُم عن كلِ ما يمنعهم عَنِ اللَّهِ، كان جزاؤهم مَعِّيَةُ اللَّهِ تَعَالَى.

رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا.


١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٥٣



تَدَبَر - ٢١٦

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ}.[1]

انظر إلى كرامة الله تعالى لأهل طاعته، لما بذلوا لله عز وجل أرواحهم، وباعوا له أنفسهم، تولى الله عز وجل أمرَهُم، فَحَرَّمَ على المؤمنينَ أن يقولوا عنهم أَنَّهُمْ أَمْوَاتٌ، وأَخْبَرَ أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ، ثم أَخْبَرَ أَنَّهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وناهيك بهذا القرب فَضْلًا وتشريفًا، ثم أخبر أنهم يُرْزَقُونَ، وإنما يحزن من يحزن على الدنيا لمظنة فقد الرزق، وفوات اللذات، والشهيد نال من الفضل، والإكرام، ما يفوق الوصف: "أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ فِي أَيِّ الْجَنَّةِ شَاءُوا".[2]

اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلى غفرته، ولا همًا إلا فرجته، ولا حاجة من حوائج الديا والآخرة إلا قضيتها ويسرتها بفضلك يا أرحم الراحمين.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٥٤

٢ - رواه الدارمي تحقيق حسين سليم أسد- كِتَاب الْجِهَادِ، بَابُ أَرْوَاحِ الشُّهَدَاءِ، حديث رقم: ٢٤٥٤، بسند صحيح

تَدَبَر – ٢١٧

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}.[١]

وطن نفسك على الصبر على أقدار الله تعالى إذا نزلت بك، فإن الدنيا دارُ ابتلاءٍ.

وإياك أن تتسخط على ربك، بسخطك على القدر.

ولا تحسبن الابتلاء دليلَ سخطِ الله على العبد.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ».[٢]

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ».[٣]

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدِينِ وَالدُنْيَا وَالأَهْلِ وَالمالِ.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٥٥

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ المرْضَى، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَفَّارَةِ المرَضِ، حديث رقم: ٥٦٤٥

٣ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى البَلَاءِ، حديث رقم: ٢٣٩٦، وابن ماجه– كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، حديث رقم: ٤٠٣١، بسند حسن



تَدَبَر – ٢١٨

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}.[١]

من بركة تدبر كلام الله تعالى أن الذي يقرأه يستشعر معناه، ويتفيء ظلاله الوارفة، ويعيش بين أفنانه النضرة، ويقطف من ثماره اليانعة.

فإذا قال عند المصيبة: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}، أدرك أنه عارية مستردة، وأن ما عنده وديعة مؤداة، وأن مصيره ومآله إلى الله.

فتنزل هذه الكلماتُ بردًا وسلامًا على قلبه.

وتكون له بلسمًا يدوى جراحه.

أما من يقولها ولا يعلم لها معنى فلا ينتفع بها انتفاع من علم معناها.

اللهم املأ قلوبنا من خشية، واغمرنا بإحسانك، وادخلنا في رحمتك.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٥٦

تَدَبَر – ٢١٩

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}.[1]

إذا اعطى الكريمُ أدهشَ بعطائِهِ العقولَ، وأذهلَ الألبابَ.

هذا جزاءُ أقلِ أنواعِ الصبرِ.

صَلَوَاتٌ مِنْ الرحمنِ تترا.

وَرَحْمَةٌ من الله تغمرُ القلوبَ.

وتزكيةٌ ترفعُ صاحبَها، ليسامي النجومَ.

أي فضلٍ وأي عطاءٍ أوسعُ من عطاءِ ربي؟

وَصَدَقَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ قَالَ: نِعْمَ العدْلان وَنِعمَتِ الْعِلَاوَةُ.

{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٥٧



تَدَبَر - ٢٢٠

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ}.[١]

الخلق خلقه، والملك ملكه، والأمر أمره، وحقه أن يُعْبَدَ ولا يُكْفَرَ، وأن يُطَاعَ فلا يُعْصَى، وأن يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرَ.

ومع كمال غناه سبحانه وتعالى، يرضى من عباده بالقليل من العمل، ويشكر عليه؛ {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ}.[٢]

ويَشْكُرُ سَعْيَ مَنْ سَعَىَ إليه ويباركه، ولو كان يسيرًا؛ {وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا}.[٣]

وَيَعِدُ على الشكرِ بوافرِ الأجرِ، وجزيلِ العطاءِ؛ {وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}.[٤]

وَيُكَافِئُ عليه، ويُعْطِي المزيدَ؛ {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}.[٥]

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٥٧
٢ - سورة الزُّمَرِ: الآية/ ٧
٣ - سورة الْإِسْرَاءِ: الآية/ ١٩
٤ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١٤٤
٥ - سورة إِبْرَاهِيمَ: الآية/ ٧

تَدَبَر - ٢٢١

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ}.[١]

العلة في هذا الوعيد الشديد، والعقاب العظيم على كتمان العلم: {يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ}، أَنَّ الْكِتْمَانَ مِمَّا يَشُقُّ عَلَى النَّفْسِ، فيحتاج مَنْ هذا شأنه إلى مجاهدةِ نفسه مجاهدةً شديدةً، لمنع إِظْهَارِ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنَ الدِّينِ، مَعَ حَاجَةِ الناس الشديدة إِلَى هذا الْهُدَى، وَحُصُولِ الدَّاعِي إِلَى إِظْهَارِهِ.

فهو يجاهدُ لمنعِ إِظْهَارِ الدِّينِ، ويتحملُ المشاقَ لحجبِ نورهِ، لذلك استحق لعنة الله تعالى.

وَيَلْعَنُهُ اللاعِنُونَ؛ لأن في منعِ إِظْهَارِ الدِّينِ ضررًا عظيمًا على سائرِ الخلقِ حتى البهائم العجماوات، كما قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّ الْحُبَارَى لَتَمُوتَ فِي وَكْرِهَا مِنْ ظُلْمِ الظَّالِمِ.[٢]

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: إِنَّ الْبَهَائِمَ تَلْعَنُ عُصَاةَ بَنِي آدَمَ إِذَا اشْتَدَّتِ السَّنَةُ، وَأُمْسِكَ الْمَطَرُ، وَتَقُولُ: هَذَا بِشُؤْمِ مَعْصِيَةِ ابْنِ آدَمَ.[٣]

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: دَوَابُّ الْأَرْضِ وَهَوَامُّهَا حَتَّى الْخَنَافِسُ وَالْعَقَارِبُ، يَقُولُونَ: مُنِعْنَا الْقَطْرَ بِذُنُوبِ بَنِي آدَمَ.[٤]

اللهم إِنَّا نعوذُ بك مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٥٩

٢ - جامع البيان (١٤/ ٢٦٠)

٣ - جامع البيان (٢/ ٧٣٥)

٤ - الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٢/ ٣٠)

تَدَبَر – ٢٢٢

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}.[١]

مهما كان ذنبك إذا تبت تاب الله تعالى عليك؛ {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}.[٢]

وإذا استغفرت غفر الله لك؛ {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى}.[٣]

وإذا أصلحت بَدَّلَ الله سَيِّئَاتِكَ حَسَنَاتٍ؛ {إلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}.[٤]

فلا تقنط من رحمته، ولا تيأس من عفوه، ولا تقطع رجاءك في فضله؛ ألم تسمع ربك تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».[٥]

خطوات ثلاثة، تمحو الذنب، وتستر العيب، وتبدل السيئة حسنة.

اللَّهُمَّ، إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ، فَاعْفُ عَنَّا.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٦٠

٢ – سورة الزُّمَرِ: الآية/ ٥٣

٣ – سورة طَهَ: الآية/ ٨٢

٤ – سورة الْفُرْقَانِ: الآية/ ٧٠

٥ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢١٤٧٢، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، ورواه الترمذي– أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٣٥٤٠، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، بسند صحيح



تَدَبَر – ٢٢٣

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}.[١]

من فساد عقول المشركين عبادتهم لغير الله تعالى، ومن جهلهم اتخاذهم أكثر من إله يعبدونهم من دون الله، وما علموا أن تعددهم ينافي كونهم آلهة.

ولو فكر أحدهم للحظة لعلم أن السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا ينصلح حالهما إلا بإِلَهٍ وَاحِدٍ، و {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا}.[٢]

فإن لكل واحد منهم إرادة مغايرة لإرادة الآخر، وما يرضي هذا لا يرضي ذاك، وما يحبه هذا يسخطه ذلك.

ونحن إِلَهُنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، هو خالقُ الخلقِ ورازقُهُم، وَهُوَ رَحْمَنٌ رَحِيمٌ، أرحمُ بالعبدِ من أُمِهِ التي ولدتَهُ.

ومن رحمته أنه يرضى من عباده بالقليل من العمل، ويتجاوز لهم عن الكثير من الزلل.

يطاع فيشكر، ويعصى فيغفر.

سبقت رحمته غضبه، يدافع عن عباده، ويحامي عن أوليائه.

فمن أسعد ممن كان ربه الله، وسعى في رضاه؟

ومن أشقى ممن التمس له رب سواه.

«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ»

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٦٣

٢ – سورة الأنبياء: الآية/ ٢٢



تَدَبَر – ٢٢٤

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}.[١]

تَأَمَّلَ هذا الكون العجيب الشاسع، المترامي الأطراف، وهَذِهِ السَّمَاوَاتِ فِي ارْتِفَاعِهَا وَاتِّسَاعِهَا، وهَذِهِ الْكَوَاكِبِ والنجوم والمجرات، التي يقف العقل أمامها مبهورًا مشدوهًا، لكثرتها التي لا يحصيها العد ولا يأتي عليها الحصر، وَكَيْفَ تَدُورُ في نظام محكم، لا يختل، ولا يضطرب، وَتَأَمَّلَ ما بيننا وبينها من المسافات الشاسعة، والبون العظيم الذي يصل إلى مئات الملايين من السنين الضوئية، وَتَأَمَّلَ تعاقبَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، ودقة سيرهما، {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}.[٢]

وَتَأَمَّلَ تلك الْبِحَارَ والمحيطات التي تحيط بِالْأَرْضِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَتَأَمَّلَ اتِّسَاعِهَا وعمقهَا الذي لا يعلم به إلا الذي خلقها، وما فيها من كائنات

وَتَأَمَّلَ كيف تَجْرِي الْفُلْكِ فِي هذا الْبَحْرِ التلاطم الأمواج، وكيف استقرت على مائهِ، ولوشاء الله لأغرقها فلا عاصم لها من الله.

وَتَأَمَّلَ المطرَ كيف يتكون ويصير سحابًا، وكيف يُسَخِّرُه الله في طبقة معينة بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وكيف يسيره الله بالرِّيَاحِ، ثم كيف يحي اللهُ بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٦٤

٢ – سورة يس: الآية/ ٤٠

وَتَأَمَّلَ هذه المخلوقات الكثيرة المتنوعة، والأممَ العظيمة التي لا تخلو منها بقعة من الأرض، منها المتناهي في الصغر، الذي لايرى بالعين المجردة، ومنها المهول في الكبر، وكيف يرزقها الله تعالى جميعًا ولا ينسى منها شيئًا.

وَتَأَمَّلَ كيف لا يغيب عن الله تعالى منها شيءٌ، {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}.[1]

ثم تعجب غاية العجب ممن يسألُ عن دليلٍ على وجود الخالق، أو يطلبُ برهانًا على حكمةِ العليمِ الخبيرِ.

فَيَـا عَجَبًـا كَيْـفَ يُعْصَـى الْإِلَـهُ ***** أَمْ كَيْــــفَ يَجْحَــــدُهُ الْجَاحِــــدُ

وَفِي كُــــلِّ شَــــيْءٍ لَــــهُ آيَــــةً ***** تَــــدُلُّ عَلَــــى أَنَّــــهُ وَاحِــــدُ

اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفاء منا.

١ - سورة هُودٍ: الآية/ ٦



تَدَبَر - ٢٢٥

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}.[1]

أهل الإيمان أشد حبًا لله من الكفار لمعبوداتهم، بل أشد حبا لله من أبنائهم وأموالهم، بل ومن أنفسهم التي بين جوانحهم.

وهذا دينهم وتلك عقيدتهم.

لا يقدم أحدهم شيئًا في الطاعة والمحبة على مولاه.

ويؤثر رضاه على رضى نفسه محابه على محبوبات نفسه، ويسارع في رضى ربه.

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ، مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ».[2]

فكن معهم فالنجاة كل النجاة في انتهاج نهجهم، وسلوك سبيلهم.

اللهم اجعلنا من حزبك وأوليائك، واشملنا بعفوك، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٦٥

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ حَلاَوَةِ الإِيمَانِ، حديث رقم: ١٦، ومسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ خِصَالٍ مَنِ اتَّصفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ٤٣

تَدَبَر - ٢٢٦

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ}.[١]

من بشاعة الظلم وشناعته، وسوء عاقبة الظالمين أن عاقبتهم لا يعلمها إلا الله تعالى؛ لذلك حذف جواب {لَوْ}، والمعنى لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ لرَأَوْا أمرًا مَهُولًا، تطيش له العقول، وتذهل منه الألباب.

ولما كان عذابهم متحققًا لا مفر منه، وواقعًا لا محالة، قال تعالى: {إِذْ يَرَوْنَ}، ولم يقل: (إِذَا يَرَوْنَ)، لأن {إِذْ} ، للماضي فكأن عذابهم أعد لهم وأُبْرِمَ أَمْرُهُمْ، وقُضِي وفُرِغَ منه.

فيالسوء عاقبة الظالمين، ويالقبح مصيرهم!

اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك.

[١] - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٦٥



تَدَبَر – ٢٢٧

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ}.[١]

أعظم حسرة يوم القيامة أن يتبرأ السادة من العبيد الذين أفنوا حياتهم في خدمتهم، والزعماء من الدهماء الذين طالما صفقوا لهم وهتفوا بأسمائهم، والقادة من الجنود الذين لم يعرفوا لهم إلا الطاعة المطلقة.

كم من مُحَرَّمَاتٍ ارتُكِبَتْ، وكم من حُرُمَاتٍ انتُهِكَتْ، وكم من أرواح ازهُقِتْ، وكم من أجساد عُذِّبَتْ، بدعوى تنفيذ التعليمات، وشعار (أنا عبد المأمور).

يأتي أولئك المستضعفون يوم القيامة، يأكلُ أحدُهُم يَدَيهِ نَدَمًا، تتقطعُ نفسُهُ حَسْرةً، ويتفطرُ قلبه أَلَمًا، ويفيض هما وغما وحزنًا، لأنه باع آخرته بدنيا غيره، واشترى بإيمانه ثمنًا قليلًا، وعرضًا زائلًا.

يرى السيد المطاع، والزعيم المهيب، والقائد العظيم، قد غلت يداه إلى عنقه، لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، يدعو بالويل الثبور، قد علت الكآبة وجهه، وغشيته الذلة.

فيقول الضُّعَفَاءُ لِقَادَتِهِمْ وَسَادَتِهِمْ وَكُبَرَائِهِمُ: إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا مَهْمَا أَمَرْتُمُونَا ائْتَمَرْنَا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ.

فيعرضُ عنهم السادةُ، ويتبرأُ منهم القادةُ.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٦٥

{وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ}.[1]

عندها يعتذر الضُّعَفَاءُ فلا يقبل منهم عذرٌ، ويندمون ولات حين مندم، ويصبح الهلاك متحققًا.

{فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ}.[2]

هي نفس واحدةٌ فلا تخاطر بها، ونعيمٌ مقيمٌ، أو عذابٌ سرمديٌ، فاختر لنفسك.

اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك.

---

١ - سورة إبراهيم: الآية/ ٢١

٢ - سورة فصلت: الآية/ ٢٤



تَدَبَر – ٢٢٨

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ}.[1]

تأمل ذلك المشهد الرهيب، وتلك الصورة العجيبة، يوم الحشر حيث البحر الهائج من الخلق، والموج المتلاطم من البشر، يأتي السادة والعبيد، والقادة والأجناد، والزعماء وأتباعهم.

فيحدث ما لا يخطر على بال، ولا يدور بالخيال.

يَتَبَرَّأُ السادة من عبيدهم، والقادة من أجنادهم، والزعماء من أتباعهم.

والمفترض أن يحدث العكس، المفترض أن يَتَبَرَّأَ العبيد من السادة الذين طالما استعبدوهم واستذلوهم.

المفترض أن يَتَبَرَّأَ الجنود من القادة الذين طالما أمروهم ونهوهم، يَتَبَرَّأُ الأتباع من الزعماء الذين وطئوا على أكتافهم ليرتفعوا في الدنيا.

فَلِمَ يتبرأ السادة والقادة والزعماء من أتباعهم؟

هنا يأتي تأويل قول الله تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ}.[2]

يتبرأ المتبوعون من أتباعهم؛ لأن من الأتباع من هو أشد عتوًا، وأبشع ظلمًا من أسيادهم.

نعم أعظم ظلمًا، فقد يأمر السيد بالقتل، فيقتل العبد ويمثل بالمقتول، وقد يأمر بالضرب فيتفنن العبد في التعذيب.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٦٥

٢ – سورة القصص: الآية/ ٨



وأكثر من هذا قد يشير القائد بطرف عينه، فيفعل الجنود ما لا يخطر على بال.

كان الزعماء في الدنيا يتغاضون عن تلك الأفعال لأنها تثبت عروشهم، فإذا كان يوم القيامة يخشى هؤلاء السادة أن يلحقهم عارها، وأن يصطلوا بنارها، فيبادروا إلى التَبَرُّءِ من عبيدهم.



تَدَبَر – ٢٢٩

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا}.[1]

بعيدًا عن ضوابط الشرع، لا ينظر السادة إلى العبيد إلا نظرة دونية، ولا ينظر القادة لجنودهم إلا على أنهم درجات سلم يرتقوا عليها لتحقيق أهدافهم.

فلا يحزن السيد لموت عبدٍ، ولا يتأثر القائد لموت جندي إلا بقدر ما فاته من المصلحة بموته.

حقيقة يتغافل عنها العبيد، ويغالط فيها الجنود، ولا يريد فهمها الأتباع.

حتى يروها يوم القيامة رأي العين. ويسمعونها مدوية، فتضعضع بنيانهم، وتهد أركانهم.

يومها يتمنى العبيد العودة للدنيا، لا لشيء إلا ليقولوا للظالم لا.

وإلا ليقولوا للطاغية قف، لسنا لك عبيدًا، لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٦٧

تَدَبَر - ٢٣٠

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ}.[١]

أعظم حسرة لهذا الذي كان يتبرءُ في الدنيا من جرائمه، بدعوى تنفيذ التعليمات، وأنه عبد المأمور، أعظم حسرة بعد براءة سيده أو رئيسه، أو قائده منه، أنه يرى تلك الأعمال في صحائف أعماله.

يراها مكتوبة عليه أنه سرق، واغتصب، وعذب، وسجن، وقتل، وفعل... وفعل....

يقول أنا كنت أعمل لحساب فلان، انفذ تعليمات فلان، عبد المأمور.

فَلا يُسْمعُ ولَا يُسْتَعْتَبُ.

فيرى كل جريمة منها قد أوجبت له النارَ، وسخطَ الجبارِ.

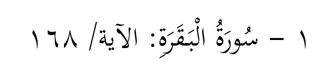
فكلما رأى شيئًا منها تقطع قلبه حسرة على فعلها؛ لأنه إنما فعلها ليرضي سيده.

فتبرأ منه سيده، وباء هو بإثمها.

فكم من حرمات ارتكبت!

وكم من محارم انتهكت!

فيا عبدَ المأمورِ، كم من حسرةٍ تنتظرك!



١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٦٨



تَدَبَر – ١٣١

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا}.[١]

من رحمة اللَّهِ تَعَالَى أنه خَلَقَ جميعَ مَا فِي الْأَرْضِ وجعله للنَّاسِ مسخرًا، وساقه إليهم مذللا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ}.[٢]

وجعله لهم حَلَالًا مباحًا لا إثم في تعاطيه، ولا تبعة على آكليه.

وجعله شَهِيًا مُسْتَلَذًّا، وسَائِغًا مستطابًا.

فالعجبُ كلُ العجبِ مِمَنْ يعافُ الحَلَالَ الطَيِّبَ، ويتشوفُ إلى الحرامِ المستقذرِ.

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٦٨

٢ – سورة الْجَاثِيَةِ: الآية/ ١٣

تَدَبَر – ٢٣٢

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}.[١]

هي خطوات قلائل.

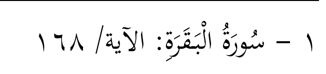
ثم شراك وحبائل.

ثم ندم حين لا ينفع الندم.

احذر أيها المسكين.

ألا ترى شفرة السكين؟

ألم تسمع: {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}؟



١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٦٨

تَدَبَر - ٢٣٣

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}.[١]

تأمل وصف الله تعالى لما أمر العباد بأكله مما خلقه لهم، بكونه: {حَلَالًا}، مباحًا لا إثم عليهم في أكله، وكونه: {طَيِّبًا}، غير مستخبثًا، ولا مستقذرًا، ولا ضارًا في نفسه.

لتعلم أن ما حرمه الله تعالى، لا يكون طيبًا بحال.

فإما أن يكون مستخبثًا، أو مستقذرًا، أو ضارًا في نفسه.

أو يكون جامعًا لتلك الأوصاف جميعًا.

ثم تأمل التحذير من متابعة خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ بعد الأمر بالأكل من الحلال الطيب، لتعلم أن الشَّيْطَانَ يزين الخبيث حتى يحسبه الناس طيبًا، ويزين المستقذر حتى يراه الناس جميلًا.

وهل أدل على ذلك من الخمر التي تذهب العقل، وتسقط المروءة، وتقطع المودة، وتفسد الدين، وتوقع العداوة بين المتحابين؟

ومع ذلك يتغنى بها الشعراء، فهل هذا إلا من تزيين الشَّيْطَانِ؟

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٦٩

تَدَبَر - ٢٣٤

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}.[١]

تأمل قول الله تعالى: {إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ....}. لتعلم أنه لا يأمر بخير، ولا يدعو إلى برٍ، ولا يرجى منه إحسانٌ.

ثم تأمل قوله تعالى هنا: {إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ....}، مع قَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}.[٢]

لتعلم أنه يأمر بسائر المحرمات صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها.

فإن السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ أهون المعاصي، وأول دركات المحرمات، والقول على الله تعالى بغير علم، أعظم المعاصي، وأحط دركات المحرمات.

فجمع الله تعالى له بهاتين الكلمتين بين طرفي المحرمات، أهون وأعظمها، وما بينهما.

اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك، واحفظنا من جميع سخطك.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٦٩

٢ - سورة الْأَعْرَافِ: الآية/ ٣٣



تَدَبَر – ٢٣٥

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا}.[١]

كم من المحرمات ارتكبت، وكم من الحرمات انتهكت، وكم من الواجبات تركت بسبب إلف العادة.

يقال لأحدهم لم تفعل هذا وهو محرم؟

فيقول : اعتدنا فعل هذا (تعودنا على هذا).

ويقال لأحدهم: لم لا تفعل هذا وقد أوجبه الله؟

فيقول: ما رأيت أحدًا يفعله من قبل. (طول عمرنا ونحن هكذا).

ولم يشعر المسكينُ أنه اعتذارُ المشركين.

فاحذر أن تكون من الذين إِذَا قِيلَ لَهُمُ: {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ}.

قَالُوا: {بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا}.

فإن آباءك لن يغنوا عنك من الله شيئًا.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٧٠

تَدَبَر - ٢٣٦

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ }.[١]

العجب كل العجب ممن يترك نصوص الكتاب والسنة وقد لاحت دلائلها، وبانت معالمها، ليأخذ بقول فلان، وفلان.

قَالَ الإمام الشافعي رحمه الله: (إِذَا صَحَّ الحَدِيْثُ فَهُوَ مَذْهَبِي وَإِذَا صَحَّ الحَدِيْثُ فَاضْرِبُوا بِقَولِي الحَائِطَ).[٢]

وَقَالَ: (مثل الَّذِي يطْلب الْعلم بِلَا حجَّة كَمثل حَاطِب ليل يحمل حزمة حطب وَفِيه أَفْعَى تلدغه وَهُوَ لَا يدْرِي).

وَقَالَ أيضًا رحمه الله: (لَا تقلدني وَلَا تقلد مَالِكًا وَلَا الشَّافِعِي وَلَا الْأَوْزَاعِيّ وَلَا الثَّوْرِيّ وَخذ من حَيْثُ أخذُوا).

وَقَالَ: (من قلَّة فقه الرجل أَن يُقَلّد دينه الرِّجَال).

وَقَالَ أيضًا رحمه الله: (عجبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحته عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يذهبون إلى سفيان والله سبحانه يقول: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣] قال أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك).

فاحذر يرحمك الله أن يقال لك قال الله تعالى، قَالَ رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتقول: ولكن قال فلان، فتشابه قولَ المشركين الذين قَالُوا: { بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا }.[١]

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٧٠

٢ - سير أعلام النبلاء ط الحديث (٨/ ٢٤٨)



اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٧٠

تَدَبَر – ٢٣٧

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}.[١]

العبادة تنقسم إلى شكر وصبر، والمؤمن يتقلب بينهما، ولا ينفك عن واحد منهما، وليس له حال ثالثة؛ كما قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».[٢]

وإذا علمت أن الشَّكْرَ هُوَ: ظُهُورُ أَثَرِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: ثَنَاءً وَاعْتِرَافًا. وَعَلَى قَلْبِهِ: شُهُودًا وَمَحَبَّةً. وَعَلَى جَوَارِحِهِ: انْقِيَادًا وَطَاعَةً.[٣]

اتضح لك معنى: {إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}.

وإذا كان في حال السراء، لا يظهرُ للشكرِ أثرٌ عَلَى لِسَانِهِ، وَلا عَلَى قَلْبِهِ، وَلا عَلَى جَوَارِحِهِ، فكيف يدعي مَنْ هذا حَالُهُ العبودية لله تعالى؟

{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٧٢

٢ – رواه مسلم– كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، حديث رقم: ٢٩٩٩

٣ – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٣٤)



تَدَبَر – ٢٣٨

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ}.[١]

تأمل قول الله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ}. لتعلمَ مدى رحمةِ اللهِ تعالى بعبادِهِ، فإن المحرماتِ محصورةٌ محددةٌ، قليلةٌ، والمباحات كثيرةٌ لا حدَ لها، ولا حصرَ.

وهذا معنى قول الله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}.[٢]

فإن (مَا) من قوله تعالى: {مِمَّا}، تفيد العموم، وهو عام مخصوص بهذه الآية ومثيلاتها مما ورد فيه ذكر هذه المحرمات، {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ}.[٣]

وإنما حرم الله تعالى تلك المذكوراتِ لما لها من عظيم الضرر، وقبيح الأثر على آكليها.

وأسوأ الناس حالًا من ضاقت عليه تلك المباحات على سعتها، وتطلع للمحرمات على قبحها.

اللهم اغننا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٧٣

٢ – سورة الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٦٨

٣ – سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةَ/ ٣

تَدَبَر – ٢٣٩

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.[1]

تأمل هذين القيدين للنجاة من الإثم حال الضرورة {غَيْرَ بَاغٍ} ، {وَلَا عَادٍ}.

فلا يكفي أن تكون مضطرًا ليعافيك الله تعالى من المؤاخذة، وينجيك من العقاب.

بل لابد أن يطلع الله تعالى على قلبك أنك لا تبتغي فعل المحرم، {غَيْرَ بَاغٍ}.

ولا تتعدى قدر الضرورة فيه، {وَلَا عَادٍ}.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية، في الدين والدنيا والآخرة.

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٧٣



تَدَبَر – ٢٤٠

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ..........}.[١]

الأصل في أحبار اليهود، وقساوسة النصارى التهمة وسوء الظن.

الأصل فيهم الفسادُ والافتراءُ على الله: {يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ}، و:{يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ}.[٢]

وأكلُ أموال الناس بالباطلِ: {وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا}، و: {أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ}.[٣]

وموالاةُ أعداء الله ومعاداة أوليائهِ: {تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا}.[٤]

والجرأةُ على أَنبِيَائِهِ ورُسُلِهِ: {وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ}.[٥]

قوم لَعَنَهُم اللهُ تعالى: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}.[٦]

وَلَعَنَهُم أنبياؤُهُم ورسُلُهُم: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}.[٧]

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٧٤

٢ – سورة الْمَائِدَةِ: الآية/ ٤١

٣ – سورة الْمَائِدَةِ: الآية/ ٤٢

٤ – سورة الْمَائِدَةِ: الآية/ ٨٠

٥ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١٥٥

٦ – سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/٦٠

٧ – سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٧٨

فلا تتعجب أن يحرق أحدهم القرآن الكريم، ولا تتعجب إذا تطاول سفهاؤهم على جناب نبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا تتعجب أن يبارك مجرموهم قتل نساء المسلمين وأطفالهم.

إنما العجب كل العجب ممن يحسن بهم الظن، ويضع يده في أيديهم، ويثني عليهم!

{تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ}، فكيف تختلف أفعالهم؟

اللهم أرنا الحق حقًا وارقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.

تَدَبَر – ٢٤١

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ}.[١]

لو كشف الحجاب أن آثار الذنوب والمعاصي، وعقوبة مرتكبيها، لجَلَّى لنا شيئًا مُرِيعًا، وأَظْهَرَ لنا أمرًا شنيعًا، تقشعر من هوله الأبدان، وتشيب له نواصي الولدان.

من ذلك كتمان شرع الله، وتبديل أحكامه، مقابل عرض من الدنيا.

جزاء من يفعل ذلك أكل الجمر المشتعل يوم القيامة، هو أمر يفوق في بشاعته كل وصف، حتى أن القلب يكاد أن ينخلع رعبًا من مجرد تصوره.

ومثله من آثار الذنوب والمعاصي كثيرٌ تخيلت من يسبح في نهر من الدم، ويرمى بالحجارة في فيه؟

عذابًا دائمًا مستمرًا.

إنه عقاب آكل الربا.

هل تخيلت من يُقَطَّعُ جسدُهُ وهو حي يسمع ويبصر؟

يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ؟

عذابًا دائمًا مستمرًا.

إنه عقاب من يَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٧٤

هل سمعت بمن أضجع ثم أتي بِصَخْرَةٍ عظيمة فترمى على رَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسُهُ، ويتهشم من هول الضربة؟

عذابًا دائمًا مستمرًا.

إِنَّهُ الذي يَنَامُ عن القُرْآنِ وَيَرْفُضُهُ حتى ينساه، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاَةِ المَكْتُوبَةِ حتى يفوت وقتها.

لو كشف الحجاب لرأينا ذلك عيانًا.

وهذا الأمر أخبرنا عنه الله تبارك وتعالى، {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} ؟[1]

وأخبرنا بهذا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}.[2]

أليس من الواجب علينا أن يكون الخبر عن الله تعالى وعن رَسُولِهِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوثق في نفوسنا مما نراه بأعيننا؟

فلم قَسَتْ قُلُوبُنَا، ولم جَمُدَتْ عَنِ الدَّمْعِ أَعْيُنُنَا؟

اللهم إنا نعوذ بك من موت القلب، وعمى البصيرة.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٨٧

٢ - سُورَةُ النَّجْمِ: الآية/ ٣، ٤

تَدَبَر – ٢٤٢

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.[١]

أعظم نعيم لأهل الجنة رؤية الله تعالى، ومناجاته.

يكفي أن يفكر المرء في ذلك مجرد تفكير حتى تغرورق عيناه بالدموع، ويذوب القلوب شوقًا لذلك.

وأعظم عقاب لأهل النار أن يقصيهم الله تعالى، فَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

لو هجر الحبيب حبيبه في الدنيا لضاقت عليه نفسه، وضاقت عليه الدنيا بما رحبت، فكيف بمن أقصاه الله، وحرمه لذة مناجاته، وحجبه عن النظر إليه؟

قَالَ تَعَالَى عَنِ الْكَافِرِينَ: {كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}.[٢]

وَقَالَ تَعَالَى: {هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ * وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ}.[٣]

فيالسوء حالهم، وهم يرون المؤمنين وقد ابيضت وجوههم، وقد غشيهم من الجمال والجلال من من نور الله ما لا يحيط به الوصف، لا يعلمه إلا الله، ولولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا من بهاء نوره.

قَالَ تَعَالَى: {تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ}.[٤]

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٧٤

٢ – سورة الْمُطَفِّفِينَ: الآية/ ١٥

٣ – سورة الْمُرْسَلَاتِ: الآية/ ٣٥، ٣٦

٤ – سورة الْمُطَفِّفِينَ: الآية/ ٢٤

فشتان بين هؤلاء وأولئك، هؤلاء المقربون، وأولئك المبعدون، هؤلاء الَّذِينَ سُعِدُوا، وأولئك الَّذِينَ شَقُوا، هؤلاءِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة.

تَدَبَر – ٢٤٣

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ}.[١]

بعض الناس شأنه في غاية العجب.

عنده من الجرأةِ على الموبقاتِ، والإقدامِ على المحرماتِ ما لا يكاد ينقضي من العجب.

يُقْدِمُ حَيثُ يُحْجِمُ الأتقياءُ.

ويتكاسلُ حَيثُ يَجِدُّ الصَالِحُون.

أتراه يعلم ما يعمل؟

أتراه يعلم جزاء عمله؟

إن كان يعلم ما أشد جرأته على الله!

وَمَا أَصْبَرَهُ عَلَى النَّارِ!

اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٧٥

تَدَبَر - ٢٤٤

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}.[1]

هذا إخبار الله تعالى عن اليهود والنصارى أنهم {فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}، {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}؟

اليهود فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ بين طوائفهم.

والنصارى فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ بين طوائفهم.

واليهود والنصارى فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ بينهمَا.

قَالَ تَعَالَى: {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}.[2]

وتأمل قوله تعالى: {لفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}، لتعلمَ أَنَّ مَا بينهما مِنَ الشِقَاقِ قد بلغ من الْبُعْدِ حدًّا لَا رَجَاءَ مَعَهُ لِلدُّنُوِّ والقُرْبِ.

فَلَا يَزَالُونَ مُتَبَاغِضِينَ مُتَعَادِينَ، يُكَفِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

ولا يجتمعون إلا على حرب الإسلام والمسلمين، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٧٦

٢ - سورة الْمَائِدَةِ:الآية/ ١٤



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ......}.[١]

الْبِرُّ اسمٌ جامعٌ لكلِ خيرٍ، وليسَ الْبِرُّ قاصرًا على الرُّسُومِ الظَاهِرَةِ إذا لم تكن عن أمرِ اللهِ تعالى، ولا يظنن ظَانٌّ أن هذه دعوةٌ لتقسيمِ الدينِ إلى قشرٍ ولبابٍ، كما يزعمُ الجهالُ من الناسِ.

فليس في الدينِ قشرٌ ولبابٌ، بل إذا أمرنا الله تعالى بأمرٍ لا يسعنا إلا السمعُ والطاعةُ لأمرِه.

إنما المرادُ تلك الرسومُ التي ورثها الأبناءُ عن الآباءِ، وما أنزل اللهُ بها من سلطانٍ.

كهذا الذي يضعُ شارةً ثم يظنُ أنه المتحدثُ باسمِ الإسلامِ، وقد اختلت عنده من الدينِ أركانٌ.

مِثْلُ هذه الرسوم لا تنفعُ أربابها، إذا اختَلَّتْ أركانُ الدينِ عندهم.

وما مَثَلُ هؤلاءِ إلا كالنصارى الذين اعتقدوا أن الدين قاصرٌ على رَهْبَانِيَّةٍ ابْتَدَعُوهَا، وليس لهم من الإيمان حظ ولا نصيب.

أو كمثل اليهود الذين ظنوا أن الدين كله يقتصر على قبلة استقبلوها، وألقاب أحدثوها، ورسومًا ابتدعوها.

فاحذر أن تصدك عن الدين رسوم، أو تصرفك عن الإيمان عادات.

اللهم إنا نسألك الإخلاص في السر والعلن، والقصد في الغنى والفقر، وكلمة الحق في الغضب والرضى.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٧٧

تَدَبَر - ٢٤٦

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ......}.[١]

تأمل قوله تعالى: {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ......}.

وتذكر أن الْبِرَّ اسمٌ جامعٌ لكلِ خيرٍ، لتعلم أن أَوْلَى الناسِ بمكارمِ الأخلاقِ، ومَحَاسِنِ الصِّفَاتِ، وَفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ، وصَفَاءِ القُلوبِ، ونَقَاءِ السَّرائِرِ، هم أهلُ الإيمانِ.

وإذا رأيتَ من يطعنُ في أهل الدين، أو يغمزُ الملتزمين، فتذكر قول الله تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ}.[٢]

واحذر أن تسخر من أهل الإيمان، أو تستهزئَ بمن ينتسبُ لهذا الدين، فتسقطَ في حمئةِ النفاقِ، عافاك الله من مهاوي الرذيلة.

ألم تسمع ما قاله الله تعالى عمن اتخذ من المؤمنين مادة للسخرية؟

قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}.[٣]

أَوَمَا تَذْكُرُ مَا قَالَ قَوْمُ لُوطٍ؟ قَالَوا: {أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}.[٤]

*****

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ١٧٧

٢ - سورة الْمُطَفِّفِينَ: الآية/ ٢٩، ٣٠

٣ - سورة التوبة: الآية/ ٦٥، ٦٦

٤ - سورة النَّمْلِ: الآية/ ٥٦



تَدَبَر – ٢٤٧

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ......}.[1]

تأمل كيف قرن الله تعالى بين الصدقة وأركان الإيمان في هذه الآية، وما ذلك إلا لعظيم أجر الصدقة، ومنزلة المتصدق عند الله تعالى.

لا سيما إذا كان ما يتصدق به محبوبًا للنفس، مرغوبًا فيه؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}.[2]

ولأن الصدقة دليل على إيمان المتصدق ألم تسمع إلى ما قَالَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآَنِ – أَوْ تَمْلَأُ – مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ....».[3]

ولا شك أن تقديم ما يحبه الله تعالى على ما تحبه النفس أدل دليل على صدق الإيمان.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٧٧

٢ – سورة آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ٩٢

٣ – رواه مسلم– كِتَابِ الطَّهَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ، حديث رقم: ٢٢٣

تَدَبَر – ٢٤٨

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ......}.[١]

تأمل قوله تعالى: {وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ}، لتعلم أن الصدقات تتفاوت في الأجر فيما بينها أبعدَ مما بين السماءِ والأرضِ.

فلا تستوي صَدَقَةُ مَنْ أَشْرَفَ على الموتِ، وفاتَتْهُ لذائذُ الدنيا، وَصَدَقَةُ الصَحِيحِ الحَرِيصِ، الذي يَأْمُلُ الغِنَى، وَيَخْشَى الفَقْرَ.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ حَرِيصٌ، تَأْمُلُ الغِنَى، وَتَخْشَى الفَقْرَ، وَلاَ تُمْهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ».[٢]

ولا تستوي صَدَقَةُ السِّرِ وَصَدَقَةُ العلانيةِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وذكر منهم، «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ».[٣]

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٧٧

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ الوَصَايَا، بَابُ الصَّدَقَةِ عِنْدَ المَوْتِ، حديث رقم: ٢٧٤٨، ومسلم– كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ صَدَقَةُ الصَّحِيحِ الشَّحِيحِ، حديث رقم: ١٠٣٢

٣ – رواه البخاري– كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ الصَّدَقَةِ بِاليَمِينِ، حديث رقم: ١٤٢٣، ومسلم– كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ، حديث رقم: ١٠٣١



ولا تستوي صَدَقَةُ الفقيرِ وصدقةُ الغني؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ» قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: «كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا».[١]

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها.

---

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٨٩٢٩، والنسائي– كِتَابُ الزَّكَاةِ، جُهْدُ الْمُقِلِّ، حديث رقم: ٢٥٢٧، وابن خزيمة– كِتَابُ الزَّكَاةِ الْمُخْتَصَرُ مِنَ الْمُخْتَصَرِ مِنَ الْمُسْنَدِ عَلَى الشَّرِيطَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ، بَابُ صَدَقَةِ الْمُقِلِّ إِذَا أَبْقَى لِنَفْسِهِ قَدْرَ حَاجَتِهِ، حديث رقم: ٢٤٤٣، وابن حبان– بَابُ صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ صَدَقَةَ الْقَلِيلِ مِنَ الْمَالِ الْيَسِيرِ أَفْضَلُ مِنْ صَدَقَةِ الْكَثِيرِ مِنَ الْمَالِ الْوَافِرِ، حديث رقم: ٣٣٤٧، بسند حسن

تَدَبَر – ٢٤٩

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ....}.[1]

تأمل قولَ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ...}، مع قوله تعالى: {وَأَقَامَ الصَّلَاةَ......}، لتعلم أن تارك الصلاة لا خير فيه، وَلَا حَظَّ له فِي الْإِسْلَامِ.

فإن الدينَ كلٌ لا يتجزئ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً}.[2]

ومنزلة الصلاة في الإسلام بمنزلة الرأس من الجسد.

فلا عجب أن يرد التشديد في الشرع في شأن الصلاة.

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ».[3]

ولذا قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّهُ لَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِأَحَدٍ أَضَاعَ الصَّلَاةَ».[4]

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٧٧

٢ – سورة الْبَقَرَةِ: الآية/ ٢٠٨

٣ – رواه مسلم– كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ إِطْلَاقِ اسْمِ الْكُفْرِ عَلَى مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ، حديث رقم: ٨٢

٤ – رواه الدارقطني– حديث رقم: ١٧٥٠، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة– حديث رقم: ٩٢٣



قال الإمام أحمد رحمه الله: (وإنما حظّهم من الإسلام على قدر حظّهم من الصّلاة ، ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصّلاة، فاعرف نفسك يا عبد الله، واعلم أنّ حظّك من الإسلام وقدر الإسلام عندك بقدر حظّك من الصّلاة وقدرها عندك).[1]

{رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ}.

١ – كتاب الصلاة للامام احمد (ص: ٥٤)

تَدَبَر - ٢٥٠

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا....}.[١]

تأمل قوله تعالى: {وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا}، وكيف قرن الله تعالى الوفاء بالعهد، مع الإيمان بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ، لتعلم أن الوفاء بالعهد من الأصول الثابتة في الإسلام، والقواعد الراسخة في الدين.

وأنه مبدأ لا يتغير بتغير الأحوال، ولا يتبدل باختلاف المصالح.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا}.[٢]

ولا تجوز فيه المعاملة بالمثل، فالغدر ليس من شيم المسلمين، ولا من صفات الصالحين.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ}.[٣]

وأمر تعالى بالوفاء بالعهد لو مع الكفار فقَالَ تَعَالَى: {فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}.[٤]

بل هو علامة من علامات النفاق، وأرذل الشمائل والأخلاق.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٧٧

٢ - سورة الإسراء: الآية/ ٣٤

٣ - سورة الْأَنْفَالِ: الآية/ ٥٨

٤ - سورة التَّوْبَةِ: الآية/ ٤



عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ".[1]

ولقبح الغدر وعظيم خطره، يفضح الله تعالى من اتصف به على رؤوس الأشهاد يوم القيامة؛ فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ".[2]

اللهم ارفعنا بالقرآن العظيم، واجعله لنا إمامًا وشفيعًا.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ عَلاَمَةِ المُنَافِقِ، حديث رقم: ٣٤، ومسلم- كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ، حديث رقم: ٥٨

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ مَا يُدْعَى النَّاسُ بِآبَائِهِم، حديث رقم: ٦١٧٧، ومسلم- كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْغَدْرِ، حديث رقم: ١٧٣٥



الفهرس











